سيكولوجية الخِبْرة

يوسف ميخائيل أسعد



الـكـتـاب : سيكولوجية الخبرة

المؤلـــف : أ / يوسف ميخائيل أسعد

رقم الإيداع : ١٧٩٦٠

تاريخ النشر : ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 215 - 472 - 2

الناشر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

التوزيع دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التسويق والمعرض الدائم { ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر – الدور الأول

ت ٢٧٣٨١٤٢ – ٢٧٣٨١٤٣

المقدمـــة

إن لفظ خـبــرة من الألفـاظ التى تشـيع على الألسنة والأقلام، فيقـال : إن المرء قد حصل على خبرة فى مجال ما من مجالات الحياة. ويقال أيضا : إن فلانًا يعتبر خبيرًا فى حرفة أو مهنة معينة. ولكن على الرغم من أن هذا اللفظ يبدو واضحا بذاته، ولا حاجة إلى التعريف به، أو إلقاء الضوء عليه، فـإن الواقع أنه ينطوى على الكثير من الأسـرار التى يجب أن يُلّقى الضوء، عليه واستبانته.

وهذا الكتاب الذى نخصصه للبحث فى **سيكولوجية الخبرة**، سوف نعرض فيه لجوانب هامة، سواء من الناحية النظرية، أم من الناحية التطبيقية. مستفيدين فى ذلك، بما يمكن أن تكشف عنه تأملات المؤلف الشخصية، وما قد يتأتى عن التفاعلات الخِّبرية التى اعتملت فى قوامه الخبرى، وما يلهم به فى أثناء تناوله للزوايا والموضوعات بالمناقشة.

وواضح فى ضوء الحجم الصغير للكتاب، أننا سوف نحاول تقديم الكثير، فى حدود صفحاته القليلة، علمًا بأن ظروف الحياة الحالية، لاتتحمل الإطالة والإسهاب. فكما أن

الوجبات الجاهزة والسريعة، صارت هى السائدة فى عصر السرعة، كذا فإن الشخص المثقف، يرغب فى تناول الوجبات الثقافية السريعة، وفى أن يقطف من كل بستان زهرة، علماً بأن بستان علم النفس، ملىء بالزهور اليانعة، التى يشتهى المتخصص، وغير المتخصص، أن يقطف أكبر عدد منها، وأن يختار أطيب أنواعها. ونحن نرجو أن يكون هذا الكتاب ضمن الزهور اليانعة التى يرغب المثقفون فى اقتطافها، ، ،

نوفمبر ١٩٩٧ يوسف ميخائيل أسعد

الفصل الأول

معنى الخبرة

للخبرة مجموعة من المعانى التى نستطيع تقديم أهمها فيما يلى :

أولاً - المعنى الفسيولوجى : فالخبرة فى ضوء هذا المعنى، تُفَسَّر : بحدوث ارتباطات عصبية جديدة، بالمخ وبالجهاز العصبى السمبتاوى، مما يجعل الإنسان، أو الكائن الحى عموماً، قادراً على إدراك وتذكّر وتخيُّل، ما سبق له تحصيله من الواقع الخارجى، وكذا الشعور وجدانياً بالاعتداد بما اكتسبه من خبرة، والإقبال على الأداء الإرادى، بإزاء أنشطة أدائية معيَّنة تتعلَّق بالخبرة التى اكتسبها، بطريقة أفضل مما كان عليه حاله قبلاً.

ثانيا - المعنى السيكولوجى : والخبرة بهذا المعنى السيكولوجى، تعنى : حدوث تفاعلات خِبْرية بين خبرة أو خبرات سابقة، وبين ما يستقبله المرء من مثيرات مستمدَّة من الواقع

الخارجى، فيتأتى عن تلك التفاعلات، مُرَكَّب خِبْرى، أكثر تراكبًا من الخبرة المكتسبة من الواقع الخارجى، وأكثر كفاءة لمجابهة ذلك الواقع، واستثمار مقوماته، بأكثر كفاءة ونجوع.

ثالثا- المعنى الاجتماعى : وهذا المعنى، ينصب على الوقوف، على العلاقات القائمة بين الأشخاص بعضهم وبعض من جهة، وبين الجماعات بعضها وبعض من جهة أخرى، مع القدرة على التأثير فيها، وتوجيهها؛ لتحقيق أهداف اجتماعية، أو شخصية معيَّنة.

رابعا - المعنى الحرفى أو المهارى : وهذا المعنى ينصَبُّ على التمكن من الخبرات التى تتضمنها الحرفة أو المهنة، التى يتعلم المرء أصولها، ويتمرَّس بها، ويسيطر على فنون الأداء المتعلقة بها

خامساً - المعنى التوقُّعِىُّ المستقبلى : وينصب هذا المعنى، على قدرة المرء، على الإفادة، من الخبرات التى استفادها منذ طفولته، حتى اللحظةالتى يحياها حاليًا، فيما يتوقعه من أحداث ووقائع، سوف تقع فى المستقبل. فصاحب الخبرة، لا يتقوقع فى حاضره، بل يجمع فى ذهنه بين خبرات الماضى والحاضر، وبين ما يستشرفه من أحداث مستقبلية، ولكنةلا

يكتفى باستشراف المستقبل، بل يُعد له العُدّة، ويجهز له الترتيبات. التى يتسنى له بواسطتها، أن يفيد من الفرص والإمكانات، التى سوف يحملها معه ذلك المستقبل من جهة، كما يكون خليقا بمجابهة المشكلات، وتحاشى الأضرار، أو الأخطار، التى قد يكون مُفْعمًا بها.

المجالات التى تعتمل فيها الخبرة :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، بإلقاء الضوء على المجالات التى تعتمل فيها الخبرة، فنجد أن تلك المجالات، يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولا - المجال الاقتصادى : فالخبرة، يمكن أن تستثمر فى المجال الاقتصادى، فيتسنى لصاحب الخبرة الاقتصادية أن يستثمرها وأن يوجهها، إما لصالحه شخصيًا، وإما للصالح العام. فخبراء الاقتصاد فى تناولهم للمسائل والمشاكل الاقتصادية، ينحون إلى إعمال خبرتهم بصددها؛ لكى يحصلوا على أكبر عائد مالى من الأنشطةالاقتصادية التى يتناولونها بالمدارسة، ولكى يتسنى تذليل أكبر قدر من الصِعَاب التى تعترض طريق ممارسة الأنشطة الاستثمارية، والعمل على التقليل من الأضرار، التى يمكن أن

تتأتى، عن الظروف الصعبة، التى قد تعترض طريق الاستثمار الاقتصادى.

ثانيا - المجال التربوى والتعليمى : فصاحب الخبرة التربوية والتعليمية، يكون خليقا بأن يتوصل إلى الحقائق التربوية والتعليمية، التى لم يسبق لأحد اكتشافها، كما يتسنى له، أن يضطلع بالتطبيقات التربوية والتعليمية، فى مجال تربية وتعليم الناشئة، كما أنه قد يقوم، بتسجيل خبراته التربوية والتعليمية، فيما يقوم بكتابته وإذاعته فى الناس.

ثالثا - المجال الاجتماعى : وصاحب الخبرة الاجتماعية، يتسنى له، أن يتصدى للمشكلات الاجتماعية الخاصة بالفئات الإجتماعية المتباينة. فهو يكون خليقًا، بأن يشارك فى الإصلاحات الاجتماعية، وفى استثمار جهود بعض الفئات، التى لا يفيد منها المجتمع، كما يستطيع، أن يهتم بالرعاية الاجتماعية، للفئات المحتاجة إلى رعاية كالمسنين، وأصحاب العاهات، والمشرَّدين، وغيرهم من فئات تحتاج إلى الرعاية الاجتماعية.

رابعا - المجال الصحى : فأصحاب الخبرة من الأطباء يساهمون فى الوقاية من الأمراض، التى تصيب الناس من جهة، وتحصينهم للوقاية من الأمراض المعدية من جهة أخرى. ناهيك

عن الحكيمات، وأطباء العلاج الطبيعى، الذين يقومون بتقويم العضلات والعظام، والتخلص من الالتواءات، التى تكون قد أصيبت بها، بالإضافة إلى من تتوافر لديهم الخبرة الطبية، كما هو الحال بإزاء الصيادلة والمشتغلين بالبحوث المتعلقة بتحضير العقاقير الطبية ولوازم المستشفيات.

خامساً - المجال التكنولوجى : وأصحاب الخبرة التكنولوجية، يُفيدون مما يتوصل إليه العلماء من مكتشفات علمية، فيحيلون النظريات العلمية إلى تطبيقات، ويجسّدونها فى هيئة أجهزة وأدوات، تخرج من بين أيديهم كنماذج، إلى المصانع لكى تنشرها وتسوّقها على نطاق واسع بأسواق العالم المختلفة.

الخصائص النفسية التى يتميز بها صاحب الخبرة :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، بإلقاء الضوء على الخصائص النفسية، التى يتميَّز بها صاحب الخبرة، فى أى مجال من المجالات التى ذكرناها، والتى لم نذكرها، فنجد أن تلك الخصائص يمكن أن تتحدَّد على النحو التالى :

أولا - الذكاء والقدرات الخاصة : فلكى يتسنى للمرء، أن يكتسب خبرة ما، لا بد أن يتوافر له المستوى المناسب من الذكاء،

أعنى : القــدرة على إقـامــة العــلاقـات بين الأشـيـاء والمواقف بل والقـدرة على إقامة العلاقات بين الأفكار والنظريات، والقـدرة على اكتساب واستثمار المواقف التى ينخرط فيها. وكذا فإنه لكى يتسنى للمرء أن يكتسب خبرة ما، لابد أن تكون لديه القدرات الخاصة، التى تسمح له، بتعلم الخبرة المطلوب اكتسابها.

ثانياً - تحديد الهدف من اكتساب الخبرة : فالشخص المُقْبل على اكتساب خبرة ما، لا بد أن يكون قد حدَّد مُسْبقًا، الأهداف التى يَبْغى تحقيقها عن طريق اكتساب تلك الخبرة وتوظيفها. فبدون تحديد الأهداف من اكتسابها، فإنه لا يستطيع أن يكتسبها، أو أن يَفيد من اكتسابه لها.

ثالثاً- الرغبة والحماس لاكتساب الخبرة : فما لم يتحمس المرء لاكتساب الخبرة، بفضل اعتمال الرغبة فى إحرازها، فى قوامه النفسى، فإنه لا يستطيع أن يكتسبها، أو أن يتمكَّن من استثمارها، فى مجال ما من المجالات التى تتعلق بها. والواقع أن الرغبة والحماس لاكتساب خبرة ما، لا يتأتيان للمرء، إلا نتيجة الاقتناع بأهميتها، ونفعها له وللآخرين.

رابعاً - إعداد الطاقة النفسية اللازمة لإنفاقها فى اكتساب الخبرة : فأى عملية يُقْدم المرء على النهوض بها، بحاجة

إلى قَدْر معَّين من الطاقة الحيوية النفسية، لبذلها فى سبيل أدائها. وبالنسبة لاكتساب الخبرات، واستثمارها فى المواقف المختلفة، لابد أن يكون المرء، قد جهَّز الطاقة النفسية اللازمة لاكتسابها وتوظيفها، فى المواقف المناسبة لها.

خامساً - تطوير الخبرة المكتسبة : فالواقع أن الخبرة - شأنها شأن الكائن الحى-من حيث حاجتها إلى التغذية المستمرة. وبتعبير آخر، فإن الخبرة، لابد أن تتطور باستمرار، وذلك عن طريق تفاعلها مع الخبرات الأخرى من جهة، وعن طريق تنويع استخدامها فى مجالات ومواقف متباينة من جهة أخرى.

العوامل الخارجية المساعدة على اكتساب الخبرة :

وعلينا بعد هذا أن نقوم بإلقاء الضوء، على العوامل الخارجية، التى تساعد المرء، على اكتساب الخبرة المستهدفة، فنجد أن تلك العوامل يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولا - خصوبة الواقع الاجتماعى : فكلما كانت البيئة الاجتماعية، التى يتعامل معها الفرد، مفعمة بالخصوبة والثراء الخبرى، فإن ذلك يحفزه، على الإقبال على اكتساب الخبرات الجديدة. وشاهد ذلك، أن الكثير من الشخصيات التى كانت نابية

عن اكتساب الخبرات الجديدة عندما تركت البيئة الاجتماعية الضيقة، ورحلت إلى بيئة اجتماعية خصبة الخبرات، ومتجدِّدة باستمرار، فإنها أقدمت على اكتساب الكثير من الخبرات، واستثمرتها أحسن استثمار؛ لتحقيق أهداف متباينة ومفيدة.

ثانيا- توافر الإمكانات بين يدى المرء : وبالإضافة إلى البيئة الثرية بالخبرات، فلا بد أن يحوز المرء الإمكانات التى تسمح له باكتساب الخبرات التى يهفو إلى اكتسابها. فعلى الرغم من أن التكنولوجيات تتدفَّق بالأسواق، ولكن المرء غير قادر على شرائها، أو على الالتحاق بالمعاهد التى تقوم بتدريب الشباب عليها، فإنه لا يستطيع اكتساب الخبرات التى تتضمنها تلك التكنولوجيات.

ثالثا-توافر الوقت والجهد : فحتى يتسنى للمرء أن يُقْبل على اكتساب خبرات جديدة يرغب فى اكتسابها، فلا بد أن يتوافر له الوقت الكافى الذى يتسنى له قضاؤه فى تلقى تلك الخبرات. فالشخص المرهق فى العمل، والذى لا يجد لديه الوقت الكافى لاكتساب الخبرات التى يرغب فيها ويحبها، لا يستطيع أن يحقق رغبته فى اكتسابها.

رابعاً - توافر مجالات توظيف الخبرة المستفادة :

فحتى إذا اكتسب المرء الخبرة، وأتقن توظيفها، ولكنه لا يجد المجالات، التى تتسع لذلك التوظيف، فإنه سوف ينصرف عنها، وتنطفئ وتموت، بعد وقت يقصر أو يَطُول. فالكثير من خريجى الجامعات، يكونون قد اكتسبوا خبرات كثيرة، عن طريق دراستهم الجامعية، ولكنهم لا يجدون المجالات المناسبة لتوظيفها فى حياتهم العملية. ومن ثمَّ فإن مآلها يكون الانطفاء، وكأن كل ما بذلوه من وقت وجهد فى تحصيلها، قد ضاع هباءً منثوراً.

خامساً - المكافأة والفوائد المادية والأدبية : فالواقع أن المرء، إذا ما لَقِى ما يشجعه، ويرفع من معنويته، بالمكافآت أو العلاوات، أو بالحصول على فوائد مادية أو أدبية، فإن إقباله على الاستزادة من الخبرات، يكون أقوى وأدوم.

معوقات اكتساب الخبرات الجديدة :

وعلينا بعد هذا أن نستعرض المعوِّقات التى تحول دون اكتساب خبرات جديدة :

أولا - الشيخوخة : فالواقع أن المرء كلما تقدَّم فى السن، وانخرط فى الهَرَم، فإنه لا يستطيع أن يحصل على خبرات

جديدة. ولكن هذا لا يعنى، أن الناس جميعًا سواسية فى هذا، بل هناك فروق فردية من شخص لآخر. فمن الناس من يظلُّون ينمون خبريًّا، برغم انخراطهم فى الشيخوخة. ولكن مع هذا فإن الواحد من هذه الفئة الممتازة، تقل قدرته، على اكتساب الخبرات الجديدة، عما كان عليه حاله، فى شبابه وكهولته.

ثانيا - اليأس من الحياة، وانغلاق طريق المستقبل : فحتى الشباب الذين يجدون أن المجتمع، لبس فى حاجة إليهم، وأن طريق الرزق والتوظيف مسدود أمامهم، فإنهم يتغلقون على أنفسهم، ولا يرغبون فى اكتساب، أى خبرة جديدة، ما داموا لا يستطيعون توظيفها، فى حياتهم العملية.

ثالثا- عدم تجديد الأهداف : فالشخص الذى لا يجدد أهدافه التى يتوخى تحقيقها فى المستقبل، لا يستطيع أن يكتسب خبرات جديدة، فالخبرات التى يُقْبل المرء على اكتسابها، ترتبط ارتباطًا وثيقًا، بتجديد الأهداف المستقبلية.

رابعًا - انحطاط مستوى الذكاء : فالشخص المختلِّف عقليًّا، لا يستطيع أن يستمر فى اكتساب الخبرات الجديدة. ذلك أن الإقبال على اكتساب تلك الخبرات، يستلزم الحصول على مستوى مرتفع نسبيًّا من الذكاء والقدرات الخاصة.

خـامـسـاً - الإصـابة بمـرض أو بعـاهة : وكـذا فـإن المرء الذى يصـاب بمـرض عُضَال، أو يصـاب بعـاهـة فى حـادث، يتـوقف عن اكتسـاب الخبـرات الجـديدة، بل ينكفئ على نفسـه، ولا يتفـاعل إيجابيًا مع الواقع الاجتماعى المحيط به.



الفصل الثانى

كيف تُكتسب الخبرة؟

الخطوات التى يمر بها اكتساب الخبرة :

هناك مجموعة من الخطوات، التى يتم عن طريقها اكتساب الخبرات المتباينة، لعلنا نقوم باستعراضها فيما يلى :

أولاً- الشعور بالحاجة إلى النمو الخبرى : فهذا الشعور ضرورى؛ لينشأ فى القوام النفسى للمرء، الحافز للإقدام على النَهَل من مصادر الخبرات، التى يحس بالحاجة إلى اكتسابها. ومن المعروف أن الشعور بالنقص، وبالحاجة إلى النمو الخبّرى، من أهم شروط اكتساب الخبرات الجديدة، بإزاء المجالات التى يحس المرء بنقص خبراته المتعلقة بها.

ثانيًا - الحماس للنمو الخبْرى : ولكن الشعور بالنقص، وبالحاجة إلى اكتساب الخبرات، لا يكفى وَحْده، لكى يُقْدم المرء على اكتساب الخبرات، بل لا بد من أن يفْعَم بالحماس لاكتسابها. وبتعبير آخر : فلا بد أن يتكامل الفكر والوجدان والإرادة لدى. المرء، حتى يكون مُهَيأ للإقدام على اكتساب الخبرة.

ثالثًا - تحديد الأهداف : ولكى يتسنى تحقيق التكامل. فيما بين الفكر والوجدان والإرادة، فلا بد أن يسيطر الفكر، على الموقف النفسى للمرء، أى أنه لابد أن تتحقق له السيطرة على الوجدان والإرادة. فلابد أن يتطلع إلى المستقبل الشخصى. وهذا يعنى : أن الفكر، لابد أن يتصفَّح ماضى المرء، وحاضره، وما يبْغِى تحقيقه فى المستقبل. وفى ضوء هذا، يتسنى له تحقيق الأهداف، التى يجب أن يتوخَّاها، من اكتسابه الخبرات الجديدة.

رابعًا - الإلمام بالموقف الخبرى : وبعد أن يحدِّد المرء الأهداف المرْجُوَّة، يجب عليه أن يُشكل فى ذهنه، تصورًا عامًا للعملية، أو العمليات التى يرجو أن يحصل على خبرة بإزائها، ويجب عليه أيضًا، أن يتخيَّل الخطوات، التى يجب أن يمر بها، من أول خطوة إلى آخرخطوة، حتى يتسنى له، أن يكون قد اكتسب خبرة متكاملة، بإزاء الخبرة المراد الحصول عليها واستيعابها.

خامسًا - المفاضلة وترتيب الأولويات : ولكن المرء، لا يُقْدِم على اكتساب خبرة ما، دون أن يكون قد فاضل بينها وبين بعض الخبرات الأخرى. فثمة خيارات قليلة أو كثيرة، يكون على المرء أن يقارن فيما بينها؛ لكِى يبدأ باكتساب الأهم ثم المهم. ومعنى هذا : أنه يضع نُصْب عينيه مجموعة من الخبرات، التى يرغب فى اكتسابها جميعًا، ولكنه يبدأ بالأهم ثم بالمهم. وبعد

المقارنة فيما بين الخبرات المتباينة، وبعد أن يقوم بترتيبها حسب أهمية كل منها، بالنسبة للمجال الذى يَعّمل فيه، ويهتم به، فإنه ينتهى إلى الخيار ذى الأولوية المطلقة، ويبدأ فى تنفيذ الخطوة التالية؛ حتى يتسنى له اكتساب الخبرة بإزائه.

سادساً - المحاولة والخطأ Trial and Error : فأى خبرة أدائية يكتسبها المرء، لا تُقَيَّض له طفرة واحدة، دون الوقوع فى أى خطأ، بل إن المرء يتخلَّص من الأخطاء التى يتعرض لها فى المحاولات الأولى، شيئًا فشيئًا، إلى أن يتخلص منها جميعاً. وعندئذ يمكن القول، بأنه قد اكتسب الخبرة المتعلقة بذلك الأداء، الذى كان مشوبا بالأخطاء فى بداية الأمر، ثم تقلصت الأخطاء شيئًا فشيئًا. ولكن احتمال تقديم الأداء، وهو مشوب ببعض الخطأ، يظل قائمًا، ولو بمعدلات بسيطة جداً.

وسائل اكتساب الخبرة :

وهناك فى الواقع مجموعة من الوسائل، التى تستخدم فى سبيل الحصول على الخبرة، لعلنا نقوم باستعراضها فيما يلى :

أولاً - الاحتكاك المباشر بالواقع الخارجى : فمما لا شك فيه، أن الإنسان منذ فجر التاريخ، وهو يقوم بتحصيل خبراته بالاحتكاك المباشر، بالواقع الخارجى، أى اتصاله

بالبيئة الطبيعة، والبيئة البشرية وما يتأتى عن ذلك الاحتكاك من كَسْب للمهارات والانطباعات.

ثانيًا - استــتـــخــدام الأدوات والآلات : وكلمـا تعـقّدت الحضارة البشرية، وبزغت أدوات والآت مستحدثة، فإن الإنسان يضيـفـهـا، إلى مـا سـبق له استـخـدامـه فى شق الطريق أمـامـه، لاكتساب خبرات جديدة. ذلك أن كل أداة أو آلة يسـتـخـدمـهـا الإنسان، تتطوّر مع استخدامها، ومع تنويع وسائل الإفادة منها. وفى العصور الحديثة، بزغت التكنولوجيات الدقيقة إلى الوجود، وهى تكنولوجيات لايتسنى الإفادة منها، إلا بعد اكتساب الخبرات المتعلقة بها، والتى تعمل على توفير الوقت والجهد، واستثمار الذكاء والمواهب الخاصة، فى اكتساب خبرات جديدة.

ثالثا - تقليد الآخرين : ومن المصادر، التى يستمد المرء منها خبراته، احتكاكه بغيره، بطريق مباشر، أوبطريق غير مباشر. فالتقليد والإيحاء، يلعبان دورًا هامًا فى اكتساب الخبرات، التى سبق أن حصل عليها الآخرون. فالخبرات السلوكية، تكتسب عن طريق الاتصال بالآخرين، وبخاصة، من يُعّجب بهم المرء، ويرى فى سلوكهم، نموذجًا يجب الاحتذاء به.

رابعًا - الكلام المسموع والمقروء : فعَبْر العصور المتعاقبة، منذ عصور القبائل البدائية، والناس يتناقلون خبراتهم عن طريق

الكلام المسموع، ثم مع التقدم الحضارى، صاروا يتناقلون الخبرات، عن طريق الكلام المكتوب. وما يزال التراث الإنسانى المنقوش على الحجارة، أو على الأوراق، يلعب دوراً خطيراً فى اكتساب الخبرات المتباينة. والواقع أن جانبا ضخما من التربية والتعليم، ما يزال يتم عن طريق الكلام المسموع والمقروء على السواء. ناهيك عن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وبخاصة الصحافة والإذاعة والتليفزيون. فهى تنقل الخبرات المحلية والإقليمية والعالمية، إلى المتلقّين لها، والمتفاعلين مع ما تقدمه إليهم من نوعيات خبْرية متباينة.

خامساً-المشاكل والصعاب : فمما لا شك فيه أن الكثير جداً من الخبرات، قد أمكن الحصول عليها، نتيجة تفتيق الذهن، فيما يعترض طريق المرء من مشاكل، وما يقع عليه من نوائب. فالصعاب التى تعترض طريق المرء فى حياته، تعمل على الاجتهاد فى الوقوف على الخبرات، التى يتسنى عن طريقها تذليلها، والتغلب عليها.

معوقات اكتساب الخبرات :

وهناك فى الواقع، مجموعة من المشاكل والصعاب، التى لا يتسنى التغلب عليها، والتوصل إلى خبرات عن طريقها، لعلنا نعرض لها فيما يلى :

أولا - الأمراض المستعصية : فعلى الرغم من أن الإنسان عَبْر العصور، قد استطاع أن يكتشف وسائل العلاج الناجعة، للمصابين بالأمراض المتفشية، فإنه كثيرًا ما يقف عاجزًا ومكتوف اليدين، بإزاء بعض الأمراض والأوبئة كالإيدز مثلا، ولكن مع هذا فإن علماء الطب، يدأبون على بذل قُصَارى جهودهم المستمرة، للقضاء على تلك الأمراض المستعصية، ولكن كلما تَغَلَّبوا على البعض من تلك الأمراض، فإن أمراضا أخرى جديدة، تبزغ إلى الوجود، وتتفشى على نطاق واسع. ولكأن هناك حَربا ضروسا مستمرة فى الاستعار بين الفيروسات، التى تنجب فيروسات جديدة، وبين بنى البشر. ولكن برغم ما يفشل فيه الإنسان لقهرها، فإنه يكتسب خبرات غير مكتملة، على أمل أنها سوف تكتمل، فى المستقبل القريب، والمستقبل البعيد على السواء.

ثانيا - مشاكل التربية والتعليم : فما يعمل على عدم الحصول على الخبرات الجيدة من خلال التعليم، بجميع مسمياته ومستوياته، من الحضانة حتى الجامعة، ذلك التضارب الموجود بين الإيديولوجيات التربوية، وعدم لحاق المؤسسات التعليمية، بما تتوصَّل إليه الحضارة من مكتشفات. فثمة تحيُّز واضح لشحن الذاكرة بالمعلومات، والعزوف عما يتسنى للارادة أن

تلعبه من أدوار هامة، فى حياة الأجيال الحديثة. فالكثير جدًا من المعلومات، التى تختزن بالذاكرة، تظل بغير توظيف، وبالتالى فإنها لا تنفع ولا تضر، ويكون مآلها الذبول والانطفاء. وعلى الجملة فإن المؤسسات التعليمية، وأيضا المؤسسات الإعلامية، تفشل فى تقديم الخبرات الحية للمتلقين، سواء فى نطاق تلك المؤسسات التعليمية، أم من خلال المؤسسات الإعلامية.

ثالثا - مشاكل تقسيم العمل إلى جزيئات صغيرة :

ومن العوائق والعقبات، التى تعترض طريق الحصول على الخبرات المتجددة والمتكاملة، وتعمل على تهميش الغالبية العظمى من العاملين، فى جميع مجالات العمل، وذلك بأن يختص الواحد منهم، بنشاط محدود للغاية،وذلك بما تنهج وفَقَه، من تقسيم العمل إلى شرائح صغيرة جدًا، ثم تُسنّد كل شريحة صغيرة إلى مجموعة من العاملين، الذين يدأبون على ممارسة العمل بإزائها، دون أن تكون لديهم صورة متكاملة عن العمل ككل. وبالتالى فإنهم يصيرون كتروس صغيرة فى آلة ضخمة، لاتُمّسك بمقود العمل ككل. وإذا نحن قارنا العمال المحدثين بالعمال القدامى خلال الأجيال القديمة، قبل تشريح العمليات التى يراد إنجازها، إلى شرائح ورقائق دقيقة، إذن لاكتشفنا الفارق فى مدى إقبال العامل القديم على العمل، وقد حمل فى ذهنه تصورًا متكاملا لما كان يُقدم على

القيام به. أما العامل الحديث، فإنه لا يتمتع بالتخطيط. لما يضطلع به من مهام، بل عليه أن يكون كالآلة، التى لا تُخَطِّط، بل تنفذ فحسب.

رابعاً - مشاكل الانفجار السكانى : فكلما زاد عدد السكان على المستوى المحلى، وعلى المستوى الإقليمى، وعلى المستوى العالمى، فإن فرصة انتقاء وتلقى الخبرات ذات القيمة العالية، تضيق أكثر فأكثر. فالفائض من السكان عن الحاجة الحقيقية للمساهمة فى التقدم الحضارى، يتزايد أكثر فأكثر، وبالتالى، فإن الدافع لاكتساب الخبرات ذات القيمة، يضمر أكثر فأكثر، لدى جميع الشباب، الذين يحسون بأنهم زائدون عن حاجة المجتمع. فهم بدلا من أن يكتسبوا الخبرات الإيجابية، المفيدة لهم ولغيرهم، فإنهم يكتسبون الخبرات السلبية كالنهب والسلب، والاغتصاب والإرهاب، وغير ذلك من خبرات هدَّامة.

خامساً - زلزلة القيم المطلقة : ولعل من أخطر المشكلات التى تجابه الإنسان الحديث، ما يحس به من تردُّد فيما بين القيم المطلقة من جهة، والقيم النسبية من جهة أخرى. فبينما يَحِن للقيم المطلقة، وبخاصة بسبب ارتباطها الحميم بالدين، فإنه يجد أن القيم النسبية، هى التى تجعله يتكيَّف بنجاح للمجتمع الحديث، الذى لا يعترف إلا بالفائدة، كغاية لا تدانيها غاية، وأن

جميع الوسائل التى تحقّق تلك الغاية. ليس عليها غبار، حتى وإن تعارضت مع ما تقوم به القيم المطلقة فالكذب والنفاق وجميع الوسائل التى تعتبر فى ضوء القيم المطلقة وسائل دنيئة، تعتبر وسائل مشروعة، وخليقة بالاعتبار فى ضوء القيم النسبية.

تقييم الخبرات :

وعلينا فى نهاية المطاف، أن نقوم بتقييم الخبرات المتباينة، لكى نعطى كل خبرة حقها، ونحدّد أهميتها بين الخبرات الأخرى :

أولا - الخبرات الإبداعية : فمن الأهمية بمكان، ألا نغفل الخبرات الإبداعية، التى يقدّمها المبدعون فى شتى المجالات الحضارية. فلولا تلك الخبرات الإبداعية، التى ظل المبدعون عبر العصور المتعاقبة،بدءا بالقبائل البدائية، يقدّمونها،فيستقبلها الناس، ويعملوا على تعميمها، بحيث تصير من لوازم حياتهم، ما كانت البشرية قد تقدمت إذن خطوة واحدة إلى الأمام، ولسنا فى الواقع نميز المبدعين بعضهم عن بعض لاختلاف مجالات الإبداع التى أسهموا فيها، بل نعمّم القول، فنُجِلُّ جميع المبدعين، أيا كانت أبداعاتهم، وأيا كان المجال الذى يبدعون فيه ما دام لخير البشرية، ولتحقيق رخائها وسعادة أبنائها.

ثانيا - الخبرات الدينية الروحية : ولا شك أن ما يكتسبه الناس، فى جميع أعمارهم، وبغض النظر عن مستوياتهم الاقتصادية والاجتماعية، من خبرات دينية روحية، لما يتوج الشخصية الإنسانية، ويرفع مقامها إلى أعلى عليين. فالشخص الذى لا يكتسب الخبرات الدينية الروحية، ينحدرُ عَن مستواه الآدمى، وينحط إلى مستويات أدنى من مستوى الحيوانات.

ثالثا - الخبرات الأدائية : ومما لا شك فيه، أن ما يكتسبه المرء من مهارات، سواء كانت مهارات حركية، أم مهارات عقلية، أم مهارات وجدانية، أم مهارات اجتماعية، بحيث يدأب على استخدام جميع تلك المهارات باعتبارها عادات سلوكية، إنما يجعل منه شخصية مفيدة لنفسه، وللآخرين فى الوقت نفسه. ومن الواجب أن ننبِّه إلى أن اكتساب الخبرات الأدائية، لا يتوقف عند حد معين، بل إنه يتطوَّر باستمرار مع التطورات الحضارية،التى لا تتوقف على الإطلاق. فالإنسان المتحضر، هو ذاك الذى يتواكب مع آخر مستوى تطورى توصَّلت إليه الحضارة، فيطوِّر ما سبق له اكتسابه من خبرات أدائية.



الفصل الثالث

الخِبْرة والفكر

تعريف الفكر :

الفكر Reason : هو أعلى مراتب النشاط الذهنى لدى المرء. ويعتبر الإدراك والتذكر والتخيل، الأضلاع الثلاثة التى يتأتى عن تضامنها، وتكاملها بعضها مع بعض، ما يمكن أن يتوصل إليه المرء من فكر.

خصائص الفكر :

ولعلنا نقوم بإلقاء الضوء على مفهوم الفكر؛ حتى يتسنى لنا الوقوف على أنحائه، فنجد أنه يتضمن ما يلى :

أولا - الاستعانة بالتجريد والتعميم : فمن الأسلحة التى يستعين بها الفكر فى نشاطه : التجريد والتعميم. ذلك أن المرء بعد أن يمر فى سلسة الإدراك والتذكر والتخيل، فإنه

يرتفع إلى مرتبة التصور Conception، أومرتبة المفاهيم المجردة والمُعَمَّمة، حيث يتناول الموضوعات التى يَعْرِض لها، من خلال منظور واسع، أعلى من الواقع المحسوس، وأفسح من نطاق المكان، ومن امتداد الزمان.

ثانيا - التركيز على الكليات، وليس على الجزيئات : فما دام المرء المفكر، يصعد إلى مستوى التجريد والتعميم، فإنه لذلك، يرتفع عن مستوى الجزيئات؛ ليصعد إلى مستوى الكليات. فالفكر الخليق بأن يسمى فكرًا، يتسم بالشمول، وعدم الاقتصار على تناول الجزيئات، التى تتكون منها الكليات، بل يهتم بتلك الكليات، ويركز عليها.

ثالثا - ربط النتائج بأسبابها : والفكر يهتم بالعلل ومعلولاتها. وبتعبير آخر : فإنه يعتمد على المنطق فى تقديم النتائج، وذلك بالربط بين الأسباب والعوامل التى أدت إليها. فهو لا يَقْبل إلقاء الكلام على عَوَاهنه، بل يهتم بإلقاء الضوء على السلسلة متصلة الحلقات، التى تُفْضى إلى نتائج اعتمال الفكر، فى تلك الحلقات.

رابعا- الاقتصاد فى وسائل التعبير : والفكر يهتم بأن يكون جامعًا مانعًا من جهة، وأن يكون خاليا من أى زيادة، يمكن الاستغناء عنها، وفى غير حاجة إليها من جهة أخرى،

كما يكون غبر مفتقر، إلى أى إضافة، يكون بدونها المقام الفكرى ناقصا. وبحاجة إليها. وبتعبير آخر : فإن الفكر يكون على قَدّ الموقف بلا زيادة ولا نقصان

خامسا-الترتيب بدءا بالأهم ثم المهم : ومن سمات الفكر، أنه يعطِى الأولوية للأهم، ويتلوها المهم بينما ينبو عما ليست له قيمة. فالفكر يقوم بتقييم الأفكار، ويَزِنها بميزان دقيق، بحيث يقوم بترتيبها بطريقة منطقية سديدة،فيركِّز باستمرار، على مايجب التركيز عليه من مفاهيم، يجب أن يوليها اهتمامه، ويبدأ بها، ولا ينغمس فى التفاصيل، التى يمكن الإغضاء عنها، وعدم إضاعة الوقت والجهد فى تناولها.

وسائل الحصول على خبرة الفكر :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، بإلقاء الضوء على الوسائل، التى يتسنى للمرء أن يحصل بها على الخبرة المتعلقة بالفكر، فنجد أن هذه الوسائل، يمكن أن تتحدد، على النحو التالى :

أولا – خصوبة المدركات الحسية : فكما سبق أن قلنا : فإن الفكر، يعتمد أولا وقبل كل شىء، على ما يترجم فى المخ من تيارات عصبية، تَرِد إليه من الحواس الخمس، فَيُحيلُها إلى مدركات حسية. فكلما استطاع المرء أن يحصل على أكبر قدر ممكن من تلك المدركات الحسية، وعلى أفضل أنواعها،عن

طريق حواسه الخمس، وبخاصة حاستى البصر والسمع، فإنه يكون قد وضع الركيزة الأساسية، للانخراط فى العمليات العقلية التالية، التى تؤدى إلى الهدف النهائى، وهو الفكر. على أن الإدراك الحسى، يجب أن يتخصَّب باستمرار، وألا يتوقف عن التفاعل الخبرى، بأى حال من الأحوال. ولذا فإن المفكرين ينصحون بتنويع المصادر الخبْرية، التى يتسنى عن طريقها تموين المخ بمدركات حسية جديدة، فتزيد خصوبتها، وبالتالى، فإن المستوى الذى ينتهى إليه ما يصل إلى الذهن من مدركات حسية يكون مرتفع المستوى، وخِصبًا، ومتجددًا باستمرار. على أن من الأهمية بمكان، أن نذكر أن المدركات الحسية، قد تتأتى للمرء بطريق مباشر : أى بالوقوف بشكل مباشر، على الواقع الحسى المنظور أو المسموع أو الملموس أو المشموم أو المذاق، كما قد تتأتى له، بطريق غير مباشر، عن طريق الرموز المكتوبة، أو المرسومة، أو المجسَّمة فى هيئة نماذج أو مجسَّمات.

ثانيا - الذاكرة الحية والنشيطة : أما الذاكرة، فإنها المخزن الذى تختزن به، ما تنتقيه من مدركات حسية: لكى يظل نابضًا بالحياة، بل ولكى يترابط بعضة مع بعض، ويتفاعل بعضة مع بعض. فالذاكرة ليست مخزنا، يقتصر نشاطة على تكديس بعض المدركات الحسية به، بل إنها ذات قوام ديناميكى، فتعمل على ترتيب وتصنيف المدركات

الحسية، التى تستوعبها، كما أنها تُقيم علاقات دقيقة فيما بينها، بينما تتخلص من بعض الذكريات، التى لا لزوم لها. أو تُعَتِّم عليها، وتخبئها، فلا يتذكرها المرء، صاحب تلك الذاكرة. وكثيرًا ما تكون الذاكريات، مُفْعمة بالطاقة الوجدانية، التى تشير إلى الفرح أو الحزن، أو تشير إلى التفاؤل أو التشاؤم، أو تشير إلى الرضى أو التبرم، أو تشير إلى السعادة أو الشقاء.

ثالثا - المخيلة الخصبة والفعالة : وعلى النحو نفسه، فإن المخيلة تستثمر المدركات الحسية والذكريات، فتقوم بتصنيع ما يَرُوق لها منها. بحيث تقدِّم إلى الفكر، الحصيلة المصنعة،من هذين المصدرين، أعنى : مصدر الإدراك من جهة، ومصدر التذكر من جهة أخرى. ولكن ما تضطلع به المخيلة، ليس نهاية المطاف، بل إنه يُعتَبر الخامة التى يقوم الفكر بتوجيه نشاطه إليها، فيخلص من ذلك بالفكر الذى يتصف بالخصائص الخمس التى عرضنا لها قبلا.

رابعا - الإرادة الإيجابية والإرادة السلبية : ولا يصح أن نتغاضى عما تضطلع به إرادة المفكر من دورين رئيسين هما : إرادة الاعتمال الذهنية من جهة، وإرادة الكَفّ أو القَمْع الذهنى من جهة أخرى. فالواقع أن المخ مفعم بجهازين أساسيين: جهاز الاعتمال Excitation من جهة، وجهاز القمع Inhibition من جهة أخرى. فالنشاط الذهنى، لا يسير بطريقة اعتباطية، تخضع للمصادفة، بل يكون لإرادة المرء،

دور انتقائى من بين العديد من الانطباعات الحسية، التى تستقبلها الحواس الخمس، ومن الذكريات التى تُشْحن بها الذاكرة، ومن الأخلية التى تضطلع المخلية بتصنيعها، من الانطباعات الحسية ومن الذكريات. فالإرادة الذهنية، تقوم بتلك العمليات الانتقائية، فتغربل جميع تلك المعطيات الذهنية، وتعمل على تنقيتها من الشوائب، كما تقوم باستبعاد ما لا يصلح للانخراط فى نطاق الفكر.

خامسًا - الفكر هو المتحكِّم فى الأنشطة الذهنية:

وأخيرًا فإن الفكر يُشَكِّل أعلى مراتب النشاط الذهنى، وذلك لأنه يتسامى بما يَخْلُص إليه المرء من عمليات ذهنية، عَبْر المراحل الأربع التى عرضنا لها، فى البنود الأربعة السابقة؛ حتى يتسنى له أن يصل إلى الخلاصات الرفيعة المجردة والمُعَمَّمة. بيد أن الناس ليسوا جميعا مؤهلين للتوصل إلى هذا المستوى الرفيع من النشاط الذهنى، بل إن قِلَّة قليلة من المثقفين، هم الذين يتسنى لهم، بلوغ هذا المستوى الذهنى. وحتى من يحظون بهذا المستوى الذهنى، ليسوا على المستوى نفسه من الفكر، بل تتبدَّى بينهم الفروق الفردية، سواء من حيث الكم، أم من حيث الكيف.

أسباب الحرمان من خبرة الفكر :

ولعلنا نتساءل، عن الأسباب، التى تعمل على حدوث تلك الفروق الفردية، بين الناس بعضهم وبعض من جهة، فيرتفع

البعض منهم إلى أعلى علِّيين فى مستوى النشاط الذهنى، بينما يحتل بعضهم الآخر مكانة وسطى، ولا يحظى بعضهم الثالث إلا بِنُتَف من الفكر، ولا يحظى بعضهم الرابع بأى لمحة الفكر، فنجد أنّ هذه الأسباب ترتد إلى ما يأتى :

أولا - الانكباب على الواقع الخارجى : فالواقع أن هناك عالَمين، يجب أن يحيا المرء فى نطاقهما، وأن يُقَسِّط فى الاهتمام بهما : العالم الخارجى، الذى يتضمن عالم المحسوسات، والعالم الداخلى، الذى يضطلع بهضم واستيعاب تلك المحسوسات، ويرتفع بمستواها إلى عالم الرموز والقيم. ولا شك أن الشخص الذى يبذل جُلَّ طاقته الذهنية، فى الواقع الخارجى، يكون بالتالى قد حَرَم نفسه،، من التمتع بالحياة فى نطاق عالمه الداخلى.

ثانيا - عدم إكمال السلسلة الذهنية : فلقد سبق أن قلنا : إن الفكر يتأتى للمرء بعد المرور فى مرحلة الإدراك الحسى، ثم فى مرحلة التذكر، ثم فى مرحلة التخيل. ولكن بعض الناس، لا يتسنى لهم الاستمرار فى هذه السلسلة الذهنية إلى مرحلة الفكر، بل يتوقف بعضهم عند مرحلة الإدراك، أو عند مرحلة التذكر، أو عند مرحلة التخيل، ولا يرتفعون إلى المرحلة الأخيرة، أعنى : مرحلة الفكر.

ثالثا - الركون إلى مستوى اللذة والألم : ومن المعوِّقات التى تحول بين بعض الناس، وبين الارتفاع إلى

مستوى الفكر، انحصار نشاطهم الذهنى، فى مستوى اللذة والألم، شأنهم فى ذلك شأن الحيوانات، فما ينطبعون به من صور ذهنية، وما يُخَزِّنونه فى الذاكرة، وما يُعْملون فيه أخيلتهم، لا يتعدى نطاق المُلِذ والمؤلم. فهم يَنْكَبُّون على ما يُلِذهم، ويهربون مما يؤلمهم. وبالتالى فإنهم لا يصعدون بنشاطهم الذهنى، إلى مستوى الفكر.

رابعًا - سطحية المستوى المعرفى : فكلما كان المستوى المعرفى عند المرء، متَّسمًا بالفجاجة والسطحية، فإنه لا يستطيع أن يَرْقى إلى مستوى الفكر. وعلى ذكر المستوى المعرفى، فإننا نجد زاويتين، يجب أن ننظر منهما إلى المعرفة، التى يحظى بها المرء : زاوية الكم والثروة المعرفية من ناحية، وزاوية الكيف، أى : المنهج أو الطريق التى يَتَّبعها المرء فى تناول ما قيض له من معرفة من ناحية أخرى، والكم والكيف المعرفيان، يعتبران الركيزة الرئيسة، التى ينبنى عليهما النشاط الذهنى، المؤدَّى إلى بلوغ مراقى الفكر.

خامسًا - الحرمان من الهدوء النفسى : فالواقع أن المناخ النفسى، يؤثر تأثيرا كبيرًا فى النشاط الذهنى للمرء. فشرط التوصل إلى مستوى رفيع من الفكر، أن يكون المرء متمتعا بالهدوء النفسى. وحتى يتسنى له ذلك، فإن عليه أن يبتعد عن مصادر الإثارة والتشتيت الذهنى، أو إضاعة الوقت سُدًى بغير ما طائل.

العوامل المساعدة على ارتفاع مستوى الفكر :

وعلينا فى نهاية المطاف، أن نُلّقى الضوء، على العوامل المساعدة، التى تساعد المرء، على التمتع بمستوى رفيع من الفكر، والعوامل هى :

أولا - ارتفاع مستوى الذكاء : فكلما كان المرء، أكثر ارتفاعا فى مستوى الذكاء، فإنه يكون خليقا إذن، بأن يتوصَّل، إلى مستوى فكر جيد. ولكن لابد من استثمار، ما أُهِّل به المرء من مستوى ذكاء مرتفع، وذلك بالاحتكاك بالمثيرات التى يتفاعل معها، فيخرجه من حيز الكمون، إلى حيز السلوك البادى للعيان، والذى تتأتى عنه النتائج الثقافية الرفيعة.

ثانيا - التحصيل الثقافى الممتاز : فمما لا شك فيه، أن المرء كلما حصل على ثقافة رفيعة، فإن عقله يُفرز أفكارًا رفيعة المستوى. وثمة فى الواقع، تأثير تبادلى بين الفكر والثقافة. فالشخص الحائز على مستوى ثقافى رفيع، يتسنى له أن يُفرز أفكارًا رفيعة المستوى.

ثالثا - تكريس الوقت الكافى للتفاعلات الذهنية : فكلما استطاع المرء، أن يقضى الوقت الكافى، فى التأمل والتفكير العميق، فإنه يستطيع إذن، أن يتوصَّل إلى خبرات ذهنية رفيعة، مفعمة بالأفكار الدقيقة والثرية.



الفصل الرابع

العاطفة والخبرة

أضواء على مفهوم العاطفة :

علينا أولا أن نلقى الضوء، على مفهوم العاطفة؛ حتى يتسنى لنا بعد ذلك، الكشف عن العلاقة بينها وبين الخبرة، فنجد أن العاطفة تتضمن ما يلى :

أولا - العاطفة وجدان متبلور : فثمة فى الواقع طاقة نفسية هى الوجدان، قابلة للتبلور حول أى موضوع خارجى، وقد يكون ذلك التبلور إيجابيًا، فيحب المرء الموضوع، الذى تبلور حوله بالإيجاب، كما قد يكون ذلك التبلور سلبيا، فيكره المرء الموضوع، الذى تبلور حوله بالسلب.

ثانيا - العاطفة ليست شيئا بل حالة : فثمة حالات أو أحداث نفسية متغيرة أو متطورة، أو حتى متقلبة فى بعض الأحيان، والعاطفة حالة أو حدث نفسى، قابل للتطور باستمرار، لأسباب بيولوحية، أو لأسباب نفسية، أو لأسباب واقعية خارجية. ومعنى هذا : أن التبلور الوجدانى، حول

الموضوعات بالإيجاب أو بالسلب، ليس مستمرًا على الحالة نفسها، بل إن التبلور قابل للتغيُّر من الإيجاب إلى السلب، ومن السلب إلى الإيجاب.

ثالثا - الفروق الفردية والفروق الفئوية : وهناك تباينات بعيدة المدى فى مستوى الثبات العاطفى من شخص لآخر، ومن فئة إلى فئة أخرى، وذلك يرجع، إما إلى العوامل الوراثية، وأما إلى العوامل البيئية.

رابعا - تباين الثبات العاطفى بالنسبة للشخص نفسه : فالظروف الصحية والاجتماعية والاقتصادية والأحداث المفاجئة، وغير ذلك من ظروف، تؤثِّر جميعًا فى مدى الثبات العاطفى، بالنسبة لكل شخص. فليس هناك ثبات عاطفى مطلق، بل هناك صبْغة عامة، تصطبغ بها الشخصية، إذا أخذنا فى الاعتبار محصِّلة حياته العاطفية.

خامساً - أنماط الشخصية : فعلماء النفس، الذين اهتموا بأنماط الشخصية، قاموا بتحديد أنماط معيَّنة، تتوزَّع فى ضوئها البشرية بأسرها. فثمة أنماط متقلبة عاطفيا، وأنماط أخرى أقل منها تقلُّبًا. فكل نمط من أنماط الشخصية، عبارة عن حِزْمة بشرية، ينخرط فيها جميع الناس الحاملين لخصائصها العاطفية. ولا تفعل التربية وتأثير البيئة الاجتماعية، أكثر من وضع رُتوش، على القوام النفسى، لكل

شخصية من الشخصيات التى تنتمى إلى نمط من الأنماط. التى وضعها علماء نفس الأنماط.

العلاقة بين العاطفة والخبرة :

وعلينا بعد هذا، أن نَعْرض للعلاقة القائمة، فيما بين العاطفة والخبرة، فنجد أن هذه العلاقة، يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - العاطفة كطاقة تدفع إلى ممارسة الحياة : فالواقع أن العاطفة باعتبارها وجدانا متبلوراً حول موضوعات خارجية، تدفع بالمرء إلى ممارسة الحياة. فبغير اعتمال العاطفة لَمَا كانت هناك إذن صلة أو رابطة، تربط المرء بالواقع الخارجى وتدفع به إلى ممارسة الحياة.

ثانيا - العاطفة كدرع واق من الأخطار : فكما سبق أن ذكرنا، فإن العاطفة، إما أن تكون إيجابية، فتدفع المرء إلى الإقبال، وأما أن تكون سلبية، فتدفع المرء إلى الإدبار. ومن ثَمَّ فإن العاطفة، هى التى تحمى المرء من التعرض للأخطار، فيكون فى مأمن من تعريض حياته أو مصالحه للخطر.

ثالثًا - العاطفة كأساس للاعتقاد : فلولا العاطفة، ما كان للإنسان إذن، أن يعتقد فى الخير والشر، والجمال والقبح، والمناسب وغير المناسب، والمفيد والضار، فيقبل على ما هو خير وجميل ومناسب ومفيد، ويتحاشى الشر والقبح وغير المناسب والضار.

رابعا - العاطفة كأساس لتقييم الذات : فثمة ما يُعْرف بعاطفة اعتبار الذات، أو تقييم قيمة المرء فى نظر نفسه. وفى ضوء هذه العاطفة، يتسنى له أن يثق فى نفسه، أو أن يحتقرها، أو أن يصاب بالغرور، أو بعُقَد النقص.

خامسًا - العاطفة كأساس للتعاون والتنافس : فالواقع أن العلاقات الاجتماعية جميعًا، تعتمد على العاطفة، فى عقل وقلب الفرد، أو فى عقل وقلب المجموعة التى تتشكل منها شخصية جمعية. وفى ضوء هذه العاطفة، يتسنى تحقيق التعاون بين الفرد وغيره من أفراد أو جماعات، وتحقيق التعاون بين مجموعة ومجموعة أخرى.

وظائف العاطفة فى اكتساب الخبرة :

أما بالنسبة للكيفية التى تعمل العاطفة وفقها، لاكتساب الخبرة، فإننا نستطيع أن نحددها على النحو التالى :

أولا - الإحساس بالمتعة : فمن شروط اكتساب الخبرة، المتعلقة بموضوع ما من الموضوعات، أو بحرفة أو مهنة ما من الحرف والمهن، أو بأى أداء أو ممارسة، عشق الموضوع الذى يرغب المرء فى إحراز الخبرة بإزائه. فلولا الشعور بالمتعة فى الأداء، ما كان للمرء إذن أن يكتسب الخبرة.

ثانيا - جَنْى الفوائد : وكون المرء يحصل-أو سوف يحصل- على فائدة مادية، أو على فائدة معنوية من الخبرة

المستفادة من ممارسة أداء معين، فإنه يُقبل بعاطفة حب متأججة،لاكتساب الخبرة المتعلقة بذلك الأداء.

ثالثا - ذَبّ خطر أو ضرر : وكذا فإن المرء الذى يدرك أن خبرة معينة، إذا ما قام باكتسابها، فإنه سوف يتمكن من حماية نفسه وذويه وممتلكاته، من خطر قد يُحْدق به، فإن ذلك الإدراك والوعى، بقيمة الموضوع الذى يتضمن خبرة الإفادة منه لذب الخطر أو الضرر، يدفع به إلى الإقدام بحماس على موضوع الخبرة، ويجتهد فى اكتسابها.

رابعاً - الارتقاء بالمكانة الاجتماعية الشخصية : فالمرء كلما أحس بأن إحرازه لخبرة معيَّنة، سوف يُعْلى من شأنه، ويرتفع بمقامه اجتماعيا، إلى مستوى أعلى من المستوى الذى يحتله حاليا، فإنه سوف يندفع بثقله ؛ لكى يحرز الخبرات، التى تحقق له أمله، فى الرفع من شأنه، والارتقاء بمقامه اجتماعيا.

خامساً - الدفاع عن الجماعة التى ينتمى إليها المرء : وعندما يحس المرء بالانصهار فى جماعة ما، ينتمى إليها بكل جوارحه، وبجماع قلبه، فإنه يحاول جاهداً، أن يتسلح بكافة الأسلحة، التى تمكنه من حمايتها، والذود عنها. فمثلاً الجندى الذى يحب وطنه، ويتأجج لديه الشعور «بالنحن»، فإنه يتفانى فى اكتساب المهارات القتالية والدفاعية، حتى إذا ما

دق ناقوس الخطر، فإنه يكون مستعداً عندئذ، للذود عن حياض وطنه، بكل بسالة وكفاءة ممتازة.

متى تُعَطِّل العاطفة اكتساب الخبر ؟

ولعلنا نقوم بعد هذا، بإلقاء الضوء، على العوامل، التى تتسبب فى جعل العاطفة عائقا عن اكتساب الخبرة، فنجد أن تلك العوامل، يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولا - العُقَد النفسية : فالشخص الذى اكتسب عُقَدا نفسية من الامتحانات، بسبب تكرار رسوبه فى الثانوية العامة مثلا، فإنه لا يتمكن فى الغالب، من توجيه عاطفته نحو الدراسة، أو نحو الاستعداد لدخول امتحان الثانوية العامة مرة أخرى. فالخبرات المتعلقة بالاستذكار الجيد، يكون من المتعذر عليه إحرازها، والتمكن منها.

ثانيا - الطريق المسدود : وكذا فإن الطالب الجامعى، الذى يرى الخريجين، قابعين فى بيوتهم بلا وظائف، وأن الطريق مسدود أمام إمكان الحصول على وظيفة، تدر عليه دخلا، فإنه لا يجد لديه الحماس للاستذكار، والتفوق فى الامتحانات، أو الحصول على الخبرات الأدائية التى ترتبط من قريب أو بعيد، بالتخصص الذى تخصص فيه. وبالتالى فإنه يحس بالفشل والإحباط، ويتخذ موقفا سلبيا، بإزاء جميع الخبرات المتعلقة بالدراسة، والحياة العملية.

ثالثا - الصدمات العاطفية: وكذا فإن الذى يُصْدَم فى الحب، فيجد أن كل شابة يتقرب منها، للارتباط بها، تصدمه فى حبه لها، وتتخذ منه موقف اللامبالاة؛ فإنه لن يحاول اكتساب الخبرات، التى تؤهله؛ لكى ينشئ أسرة، أو اكتساب الخبرات التربوية التى تؤهله، لأن يكون زوجًا صالحًا، وأبا كفئًا فى المستقبل، بفرض أنه سوف يتزوج وينجب أطفالا.

رابعًا - المشكلات الاقتصادية : فالتاجر الذى تبور تجارته، ويُمْنَى بالخسارة الفادحة، لا يكون مستعدا لاكتساب الخبرات، التى تؤهله لتطوير تجارته، أو لتنويع أنشطته التجارية. فهو يصير زاهدًا فى العلوم التجارية، وفى التدرب على وسائل جديدة فى فنون التجارة.

خامسًا - انعدام التقدير الأدبى : فالموظف الذى لا يحظى برضاء رؤسائه مهما اجتهد، بل على العكس من ذلك، تُوَقَّع عليه الجزاءات، ويُفَضَّل زملاؤه عليه، يجد نفسه، غير قابل للامتداد بالخبرات الوظيفية. وحتى التدريبات التى تُعْقد للموظفين، لا يعبأ بها، ولا يواظب على حضورها، وذلك لأنه يحس فى قرارة نفسه، بأنه مهما اجتهد، وحصل على الخبرات الممتازة، التى ترتفع بمستوى أدائه، فسوف لا يكون حظه أفضل مما كان عليه فى المرات السابقة، أو فى علاقة رؤسائه به، وفى نظرتهم إليه، وهى النظرة المشوبة بالاحتقار والامتهان.

ديناميات العاطفة فى فى اكتساب الخبرة :

وعلينا فى نهاية المطاف، أن نستعرض الديناميات، التى تعتمل فى القوام العاطفى للمرء، فى سبيل اكتساب الخبرة، فنجد أن تلك الديناميات، يمكن أن تتحدد فيما يلى :

أولا - دينامية البقاء : فالإنسان يتشبث غريزيا بالبقاء. والبقاء الذى نعنيه هو البقاء المعنوى. فكل إنسان يُحِب أن يظل باقيا، وطافيا على سطح القوام الجماعى للفئة التى ينتمى إليها. فمن لا يجتهد، ويُثْبت وجوده؛ تنطفئ شمعة حياته المعنوية، ويحذف من قائمة الوجود المعنوى، بين زملائه وأترابه ومرءوسيه ورؤسائه جميعًا. ومن المعروف أن البقاء يقابله الفناء، وأن من لا يُثبت وجوده، ينغمر فى لجة الضياع. وكل من لايحاول أن يجدد خبراته باستمرار، فإنه يهبط إلى أسفل سافلين. وعلى العكس، فإن من يدأب على تجديد خبراته، يرتفع إلى أعلى عليين.

ثانيا - دينامية التفوق : فكل شخص فى أى مجموعة، يرغب فى أن يكون متفوقا على زملائه ذلك أن الحياة الاجتماعية، تقوم على مبدأين لا ثالث لهما، هما : مبدأ التعاون من جهة، ومبدأ التنافس من جهة أخرى. ولكنك تتعاون مع غيرك، حتى تتفوق على منافسيك. فتعاونك مع زملائك، لا يعنى : أنك تتنازل عن التنافس معهم. فأنت تتعاون معهم من جهة، وتتنافس معهم هم أنفسهم من جهة

أخرى. والتعاون والتنافس يصدران عن طاقتك العاطفية. وعن اكتسابك للخبرات التى تتأتى لك فى سياق تعاونك مع زملائك، وتنافسك معهم.

ثالثاً - دينامية التفرد والإبداع : ولكنك فى تعاونك وتنافسك مع زملائك، لا تَبْغى أن تكون نسخة مكررة من أى منهم، بل تَبغى أن تكون فريداً، ونسيج وَحدك Sui generis. فثمة دينامية تعتمل بداخلك، تطالبك بأن تتميز، من كل من تتعامل معهم، وألا تتنازل عن إنيَّتك، وألا يكون معنى إفادتك من غيرك، أو تعاونك معهم، أن تنصهر فى بوتقة شخصياتهم، فكلما أفدت منهم، وقدمت فوائد لهم، فلا بد أن تحذر من الانطباع بكل ماليديهم، فتمحو شخصيتك. فلتكن إذن متفردا، بحيث يتبدى تفردك، فيما تقدمه من إبداعات غير مسبوقة.



الفصل الخامس

الإرادة والخبرة

الجوانب التى تتضمنها الإرادة :

لا بد أن نلقى الضوء على مفهوم الإرادة قبل أن نتناول علاقتها بالخبرة، فنجد أن هذا المفهوم يتضمن الجوانب التالية :

أولاً - التأثر والتأثير: فثمة نوعان من الإرادة : الإرادة التَقَبليَّة أو السلبية من جهة، والإرادة التصديرية أو الإيجابية من جهة أخرى. فالمريض فى تَقَبُّله لتعليمات الطبيب الذى يقوم بعلاجه، يكون متذرعًا بالإرادة السلبية. أما الطبيب الذى يقوم بالعلاج، فإنه يتذرع بالإرادة الإيجابية.

ثانيًا - الشعور واللاشعور : والإرادة قد تكون إرادة شعورية واعية من جهة، كما أنها قد تكون إرادة لاشعورية غير واعية من جهة أخرى. فما أقوم بكتابته الآن من حيث المعانى والمقاصد التى أرغب فى الإبانة عنها، ينخرط فى

نطاق الإرادة الشعورية الواعية. أما هجاء الكلمات والتشكيل. والعادات التى اكتسبتها فيما يتعلق بآليات الكتابة، فإنه ينخرط فى نطاق الإرادة اللاشعورية.

ثالثًا - الإرادة الفردية والإرادة الجماعية : فالواحد من الناس، يتمتع بإرادة خاصة به شخصيًا، وكذا فإن لكل مجموعة من الأفراد، إرادة جماعية، ما دامت متمتعة بالشخصية الجماعية، التى تُعَبِّر عن تماسكها وتكاملها، وتَوَحُّدها فى قوام مُتَفَرِّد .

رابعًا - الإرادة السوية، والإرادة المريضة : فلقد تكون إرادة الفرد أو إرادة الجماعة، إرادة سوية، غير منحرفة عن الجادة، كما أنها قد تكون إرادة مريضة، إما بالتهور الإرادى، أو بالبلادة الإرادية، أو بالتذبذب الإرادى.

خامسًا - الإرادة الحاضرة، والإرادة المستقبلية : فقد تكون الإرادة، منصبة على الموقف الراهن، أى متعلقة بحاضر المرء أو الجماعة، كما أنها قد تكون إرادة مجهَّزة للاعتمال فى المستقبل القريب، أو فى المستقبل البعيد. فالاتصال التليفونى الذى يجريه المرء مع أحد أقربائه أو أصدقائه، يُعَبِّر عن إرادة حاضرة. أما الخطط الخمسية، أو العشرية التى تضعها إحدى الدول، لما سوف تعتزم إنجازه من مشروعات، فهى تعبر عن الإرادة المستقبلية لتلك الدولة.

علاقة الإرادة بالخِبْرة :

وبعد أن ألقينا الضوء على مفهوم الإرادة، فإن علينا أن نستبين علاقة الإرادة بالخبرة، على النحو التالى :

أولاً-الخبرة ثمرة لاعتمال الإرادة : فكلما أعمل المرء، وأعملت الجماعة إرادتهما الإيجابية و إرادتهما السلبية، فى الواقع المتعلق بالموقف والعلاقات الراهنة، فإن النتائج المتأتية عن ذلك الاعتمال، يمكن أن تكون مشتملة على الجيد والردىء، وعلى المفيد والضار، وعلى ما ينخرط فى نطاق الخير وما ينخرط فى نطاق الشر، وما يعتبر مناسبا وما يعتبر غير مناسب أو غير لائق، إلى آخر تلك الثنائيات، التى يمكن أن يشتمل عليها الفعل الإرادى، سواء كان صادراً عن فرد، أم كان صادراً عن جماعة. ولا شك أن الآثار النفسية التى تتركها المواقف والعلاقات فى قوام الفرد، أو فى قوام الجماعة، تشكل الركيزة النفسية التى تسمى بالخِبْرة.

ثانياً - الخبرة قد تكون جيدة، كما أنها قد تكون رديئة : بيد أن الخبرة لا تكون بالضرورة خبرة جيدة: فلصوص البنوك والمختلسون والإرهابيون وجميع الأشرار. يكونون قد اكتسبوا خبرة معينَّة، فى ممارسة الشرور التى يقترفونها، وانتحاء المرء إلى الخبرات الصالحة، أو إلى

الخبرات الطالحة. يتوقف على استعداداته الشخصية من جهة، وعلى ما تلقاه منذ طفولته، وعَبْر مراحل عمره التالية من جهة أخرى،من مؤثرات سلوكية، وما نما عليه من مقومات سلوكية مستقيمة، أو مقومات سلوكية ملتوية، ومنحرفة عن الجادة.

ثالثا - الخبرة قابلة للتعديل والتطور : فالواقع أن الخبرة، ليست جامدة، بحيث لا تقبل التطوير، بل إنها مَرنة، ويمكن أن تتعدل وتتطور، عن طريق المؤثرات التى يتلقاها المرء، من الواقع الخارجى، أو عن طريق ما يتم تفاعله من مقومات نفسيه، مع المثيرات والمواقف والعلاقات الجديدة. فالسلوك الشخصى والسلوك الجماعى، وما يكتسبة الفرد، أو تكتسبه الجماعة من خبرات، لا يخضع لما تخضع له الجوامد من نزعة ميكانيكية، بل يخضع للنزعة الديناميكية، أى الاعتمال من دخيلة المرء أو الجماعة. فالفرد والجماعة يتمتعان بالقدرة على الاختيار، من بين الخيارات الكثيرة المتاحة أمامهما، فى المواقف والتوجهات التى يتسنى لهما الانتقاء من بينما. ومن هنا فإن قُدْرة المرء، أو قدرة الجماعة على تعديل ما سبق لهما اكتسابه من خبرات، من بين الإمكانات المتاحة أمامهما تسنى لهما، بغض النظر عن الصعوبة أو السهولة، فى هذا الشأن،

رابعاً - الخبرة العامة والخبرة المتخصصة : فثمة خبرة، تشترك فيها الغالبية العظمى من الناس، كخبرة المأكل والملبس والعلاقات الاجتماعية العادية. وثمة فى المقابل خبرات تخصُّصية، كخبرة المهندس المعمارى فى التخطيط لتشييد عمارة، وكخبرة العالم فى معمله، أو الطيار فى قيادة الطائرة، إلى غير ذلك من خبرات متخصصة.

خامساً - الخبرة العملية والخبرة النظرية : فميكانيكى السيارات، الذى يقوم بإصلاح السيارة التى أصيبت بعُطل، يكون قد اكتسب خبرة عملية. أما الأديب أو الفيلسوف، فإنه يكون قد اكتسب خبرة نظرية، تتعلق بصياغة الأفكار والمشاعر.

ديناميات الإرادة والخبرة :

وعلينا بعد هذا، أن نُلْقى الضوء على الديناميات النفسية للإرادة، التى تؤدى إلى اكتساب المرء للخبرة، فنجد أنها تتضمن ما يلى :

أولا - دينامية النمو الخبرى : فالإنسان ينمو خبرياً، كما ينمو جسميا، وكما أن النمو الجسمى، يتأثر إلى حد بعيد، بما يتلقاه من خارج نطاقه من أغذية، كذا فإن النمو الخبرى، يتأثر إلى حد بعيد، بما يتلقاه المرء، أو تتلقاه الجماعة من مؤثرات خبِرية. فالإنسان يتوقف مستواه الخبرى، على عاملين : الكم والكيف. فكلما كانت المؤثرات الخبرية، غزيرة

وذات نوعية ممتازة، فإن الخبرة المتأتية عن تفاعل المرء بها، تكون متينة وممتازة.

ثانيا - دينامية الانتقاء الخبرى : فالمرء والجماعة، لا يتقبلان أى مثير يصادفهما للتفاعل معه خِبريًا، بل ينتقيان من بين المثيرات المتعددة، ما يناسبهما، وما يروق لهما. والانتقاء إما يتأتى عن طبيعة المرء أو الجماعة، وإما يتأتى عما اكتسبه الفرد، أو اكتسبته الجماعة من مذاقات، وما اعتاد عليه كل منهما من عادات سلوكية، وما اكتسباه من قيم، أو ما حاق بهما من رواسب خبرية سابقة، عَبر مراحل العمر السابقة بالنسبة للفرد، وعبر تاريخ الجماعة منذ نشأتها حتى اللحظة الراهنة.

ثالثا - دينامية التكيف للمرحلة الخبرية : وكل مرحله من مراحل العمر بالنسبة للفرد، وكل حقبة من أحقاب التاريخ بالنسبة للجماعة، يكون الفرد وتكون الجماعة خلالها، قد وصلا إلى مستوى خبرى معين. وفى ضوء هذا المستوى، يكون الفرد، وتكون الجماعة، بحاجة إلى خبرات من نوع معين، وذات مستوى معين، أو خصائص مناسبة. فإذا ما توافر لهما ذلك النوع من الخبرات المناسبة لما توصّلا إليه، من حيث الكم والكيف، فإن تفاعلهما يكون أنجع، ومؤديا إلى مستوى من النمو الخبرى أرفع وأسمى.

رابعًا - ديناميـة الغـربلة الخبـرية : والواقع أن الفـرد والجماعة، لا يتوقَّفان عند حد الاستقبال الخبرى. فبعد أن يستقبل المرء، أو تستقبل الجماعة، الخبرات المتباينة، ويتفاعلان معها، فإنهما يستمران فى الغربلة الخبرية، حتى يتخلصا من الخبرات، التى لم تَعُد مناسبة أو نافعة لهما. وهذا الموقف، شبيه بموقف الكائن الحى، بإزاء ما يتناوله من أغذية. فجسمه يقوم بعملية فرز ما تناوله من أطعمة وأشربة، فيستوعب جانبًا منها، بينما يتخلص من جانب آخر منها. بطرده من الجسم.

خامسًا - ديناميـة التـوظيف الخبـرى : والمرء والجماعة، لا يتوقفان عند حدود التفاعلات الخبرية، بل ينحوان إلى توظيف ما استفاداه من خبرات، وقد صارت من لحم كيانهما الخبرى. والواقع أن التوظيف الخبرى، يتباين أشد التباين من فرد لآخر، ومن جماعة إلى جماعة أخرى. فبعض الناس والجماعات، يحسنون ذلك التوظيف، بينما يسيء أفراد آخرون، أو جماعات أخرى فى هذا الشأن، فيوظفون ما يستفيدونه من خبرات؛ لتحقيق أهداف خسيسة، أو شريرة، أو ضارة بأنفسهم، وبغيرهم على السواء.

تقييم عمل الإرادة فى الخبرات :

علينا فى نهاية المطاف، أن نقوم بتقييم الإرادة، بإزاء استثمارها للخبرات، التى تم للمرء اكتسابها :

أولا - الإرادة الطائشة غير الهادفة : فبعض الناس، لا يتبينون طريقهم فى الحياة. فالواحد منهم،يكون كالقشة التى تذروها الرياح. فهم يتركون إرادتهم، تتجه وتعتمل بغير انضباط أو تخطيط، وبغير وعى بالحاضر أو المستقبل، وهذا النوع من الناس الذين يتركون إرادتهم الغاشمة تسيطر على مقاليد شخصياتهم، يكونون مصابين بمرض الطياشة الإرادية. ويرجع ما أصيبوا به فى إرادتهم، إلى العجز عن الانضباط الإرادى، فيتخبطون بإزاء ما يقعون عليه من مجالات خِبْرية، يرتشفون منها، ويتفاعلون مع مقوماتها.

ثانيا - الإرادة المتخلفة : فبعض الناس يتخلفون عن الركب، بإزاء توقيت التفاعلات الخبرية، أو بإزاء الإقبال على المصادر الخبرية الناجعة. من ذلك مثلا، الطالب الذى يؤجل استذكار المقررات الدراسية، حتى الشهر الأخير من العام الدراسى. فتفاعلاته الخبرية الدراسية، تتخلف عن الرَّكْب، فيتأتى عن ذلك رسوبه فى الامتحان، أو عدم هضم المقررات الدراسية على النحو المُرْضى.

ثالثا - الإرادة العمياء : فبعض الناس لا يتسنى لهم التمييز بين مستويات الخبرات المطروحة أمامهم، فلا يتسنى لهم التمييز بين الغث والسمين، أو بين ما يجب أن يناط به الأولوية، وما يمكن تأجيله إلى وقت آخر، وما يجب إسقاطه من الحساب، وعدم التفاعل معه، ونبذه.

رابعًا - الإرادة المتهوِّرة : فبعض الناس ينفعلون بشدة لأتفه الأسباب، فيكتسبون عادة الغضب المفاجئ، أو الاندفاع الذى لا يُبقى ولا يذر. وتصير إرادتهم بإزاء ما يستقبلونه من خبرات إرادة متهورة. فهم يُقبلون على مصادر الخبرة بحماس شديد، ولكنهم ما يفتأون يتراجعون عما أقبلوا عليه بكل حماس، ويأخذون فى توجيه إرادتهم إلى مجال خبرى آخر لا يكون حظة أفضل من حظ المجال السابق، الذى كانوا متحمسين له، ومقبلين عليه بكل قلوبهم، ولكنهم انصرفوا عنه، بنفس الحماس الذى أقبلوا به عليه.

خامسًا - الإرادة الشريرة : فالشخص الذى اكتسب قيما منحطة، وتفاعل مع خبرات رديئة، لا يتسنى له توجيه إرادته وجهة طيبة، بل يدأب على إعمال إرادته، بما اكتسبه من خبرات شريرة ومنحطة، فيما هو شر له ولغيره.



الفصل السادس

تطوير الخِبْرة

حتمية تطوير الخبرة :

إن تطوير الخبرة ضرورة حتمية، لا مناص منها، ما دام المرء على قيد الحياة، ويحس بماضيه وحاضره، ويتطلّع إلى مستقبله. وهذه الضرورة الحتمية تستند إلى الاعتبارات الآتية :

أولا - التطور الحضارى المستمر : فالحضارة البشرية شبيهة بالنهر المتدفق بغير توقُّف على الإطلاق، على أن التطور الحضارى، ينهج وفق متتالية هندسية تضاعفية على النحو الآتى : ١، ٢، ٤، ٨، ١٦ ... إلخ. وحتى يتسنى للمرء أن يتوافق مع المستوى الذى بلغته حضارة المجتمع الذى يحيا فى إطاره، فلا بد أن يسايره فيما بلغه بإزاء القطاع الحضارى الذى يهتم به. وواضح أن أى فرد، مهما اجتهد وثابر واستمر فى تطوير شخصيته، فإنه لا يستطيع أن يلاحق مجتمعه، بإزاء جميع الجوانب الحضارية. ولكن المسألة نسبية. فكلما

استطاع أن يَحُوز أكبر قدر من التوافق مع التطورات الحضارية التى بلغها مجتمعه، فإنه يكون بذلك شخصية ناجحة.

ثانيا - استثمار الاستعدادات والمواهب الشخصية :

بيد أن التوافق مع المجتمع الذى يحيا المرء فى إطاره، مشروط بما لديه من استعدادات عقلية ووجدانية وإرادية. فالشخص الذى ليس لديه المستوى المناسب من استعداد أو موهبة معينة، لا يستطيع أن يبلُوَ بلاءً حسنًا، بإزاء تكيفه أو تواؤمه الاجتماعى. فعلى المرء أن يقف على ما فى جُعْبته النفسية من استعدادات ومواهب؛ حتى يتسنى له استثمارها فى عملية التكيُّف مع المجتمع الذى يحيا فى إطاره، ويتوافق معه.

ثالثا - التوقُّعات المستقبلية : فلكى يتحقق التطورالخبرى الشخصى السليم والناجع، فلا بد أن تكون لدى المرء نظرة مستقبلية. وبتعبير آخر : فإن ما ينحو إليه من تطوير لشخصيته، لابد أن يستهدف تحقيق أهداف مستقبلية، يسعى لتحقيقها . فالمرء المتطِّور، يَتَرسَّم أهدافا ، يبغى تحقيقها فى المستقبل، ثم يقوم بوضع خطة عملية لتجسيد تلك الأهداف فى واقع فعلى.

رابعًا - الاستمرارية الخبرية : فلكى يكون التطوير الذى يضطلع به المرء بإزاء شخصيته ناجعًا وسديدًا، فلا بد أن يكون ثمة استمرار بالخبرات التى سبق له اكتسابها، والاستمرار بها إلى الخبرات التى يأخذ فى تحصيلها. فالشخصية المتطورة فى خبراتها، هى تلك الشخصية التى تخلو من القفزات الخبرية، بل تكون كل خبرة تالية مُفَرخة من الخبرات السابقة عليها. وبتعبير آخر : فإن الشخصية المتطوِّرة، هى تلك الشخصية التى يتم تفاعل الخبرات فى قوامها بعضها مع بعض، بحيث يكون كل تفاعل خبرى بين الخبرة الجديدة، وبين المُرَكَّب الخبرى الذى تَأْتَى لها.

خامسًا - التوظيف الخبرى : ومن أهم شروط التطوير الخبرى، أن تكون الخبرات التى يتم اكتسابها، قابلة للتوظيف فى الواقع الحياتى للمرء. وبتعبير آخر : فإن الخبرة التطورية الحية، لابد أن تكون خبرة مؤثِّرة على نحو أو آخر فى الواقع الاجتماعى الذى يتعامل معه المرء. على أن التوظيف الذى ندعو إليه، لا يعنى اشتراط الحصول على فوائد مادية، نتيجة تطبيق الخبرة فى الواقع، بل قد يكون التوظيف أوسع نطاقا من مجرد الحصول على عائد مادى، فالتوظيف قد يستهدف المعنويات إلى جانب الماديات. فالوالدان اللذان يقفان على

أصــول التــربيــة. ويحــاولان إخــراجــهــا من حــيِّز النظريات التربوية إلى حيز الواقع الذى يمارسانه فى تربية أولادهما، لا يكون هدفهما ماديا، بل يكون تطبيقا معنويًا، هو تنشئة أولادهما بطريقة جيدة. وكلما كانت الأفكار التربوية التى يطبقانها، متمشية مع متطلَّبات الواقع الاجتماعى، وما انتهى المجتمع إليه من تطوُّر، فإن تربيتهما لأولادهما، تكون أكثر نجوعًا وفاعلية.

ديناميات تطوير الخبرة :

وعلينا بعد هذا أن نلقى الضوء على الديناميات التى تعتمل فى تطوير الخبرة، فنجد أنها تتمثل فيما يلى :

أولاً - دينامية الانبعاثية الداخلية : فالمرء يجد نفسه مدفوعًا من دخيلته لتطوير شخصيته، واكتساب الخبرات التى تساعده على هذا التطوير. فالكائنات الحية عمومًا-وليس الإنسان فقط-تعمد إلى تطوير نفسها، وفقًا لمتطلبات الواقع البيئى المحيط بها. ولكن الإنسان يمتاز عن جميع الكائنات الحية، بأنه لا يقتصر على التطوير الآنى المتعلق بالواقع الراهن، بل إنه يطوِّر نفسه وفق ما يستشرفه فى المستقبل من تطورات فى المجتمع الذى سوف ينخرط فيه. اخذ مثالاً لذلك بالتربية والتعليم. فالمناهج الدراسية يجب أن تكون وسائل

لإعداد مواطنى المستقبل، فى ضوء التطورات التى سوف تقع، أو المتَوقَّع وقوعها.

ثالثًا - دينامية الخوف من التخلف عن الركْب : فثمة خوف غامض يعتمل فى قوام الإنسان، من أن يتخلف عن الركب، وينزاح عن صفوف المتطوِّرين المتجانسين مع الواقع الاجتماعى، وما توصَّل إليه من تطورات. فالموظف الذى قارب سن المعاش، يحس بالخوف من أن ينزاح بعيدًا عن الأضواء، فيأخذ فى البحث عن عمل جديد، يثبت لنفسه عن طريقه، أنه ما يزال على قيد الحياة الاجتماعية، وأنه ما يزال مؤثرًا ومتأثرًا، وأنه لم يعُد فى خبر كان، بل مستمر فى اكتساب الخبرات، وفى تقديمها إلى غيره، وأنه دائب على تطوير نفسه، وفى اكتساب المهارات الجديدة، بل إنه يتنافس مع الشباب فى استثمار ما سبق أن حصله من خبرات، وفى اكتساب الخبرات الجديدة، وأنه سوف يظل على السطح، ولن يغرق فى لُجَّة التخلف الحضارى.

ثالثًا - دينامية المقارنة : فمن عوامل التطور الخبرى المستمر، ما يقوم المرء بعقده من مقارنات، بينه وبين غيره من الأقران والكبار من جهة، وما يقوم بعقده من مقارنات بين ما كان عليه فى الماضى، وما صار إليه فى الحاضر، وما يرجو

أن يصير إليه فى المستقبل. من مستوى خبرى يتناسب مع المستوى التطورى الذى يتوقع وصول المجتمع الذى يعايشه إليه فى المستقبل.

رابعاً - دينامية الضمير : فمن الديناميات التى تعتمل فى قوام المرء، والتى تعمل على استمرار تطوره الخبرى، دينامية الضمير، وما يضطلع به من وظيفة تأنيبية عِتابية، ومن وظيفة توجيهية إرشادية وتبصيرية. فالضمير هو المربى الأول بالنسبة للمرء، والمبصِّر له فى حياته، والملازم له، سواء كان وحده فى خَلْوة، أم كان فى زمرة من الرفقاء، وبين جمهور من الناس. فهو المؤدِّب والمهذِّب والقاضى والمعلم والواعظ.

خامساً - دينامية الاستمتاع : ومن الديناميات التى تعتمل فى قوام المرء، والتى تدفع به إلى الاستمرار فى اكتساب الخبرات الجديدة و فى تطوير الخبرات التى سبق له أن حصل عليها، دينامية الاستمتاع بالنمو الخبرى. فكل خبرة جديدة، يقوم المرء بتحصيلها، تحمل له معها قَدْرًا من المتعة. ولاشك أن الثقة بالنفس التى يستشعرها المرء بعد تَمَكُّنه من السيطرة على خبرة ما، واستيعابها استيعابًا تامًا، لما يدفعه باستمرار، إلى محاولة، اكتساب خبرات جديدة، سواء كانت خبرات معرفية، أم خبرات وجدانية، أم خبرات أدائية، أم خبرات اجتماعية.

العقبات التى تَحول دون تطوير الخبرة :

وعلينا بعد هذا أن نقوم بإلقاء الضوء على العقبات التى تقف حائلاً دون تطوير خبرات المرء فنجد أن تلك العقبات، يمكن أن تتحدَّد فيما يلى :

أولاً - البلادة وعدم بذل الجهد فى التطوير الخبرى : فالشخص الذى يتقاعس عن تطوير نفسه خبريا، قد يكون من أولئك الأشخاص الذين اعتادوا على الانزواء بعيداً عن الأضواء، وغير الطموحين فى احتلال مكانة مرموقة بين ذويهم، أو اليائسين من التوافق مع المستقبل. فهم لذلك يَقْبعون فى أماكنهم، ولا يتقدمون خطوة واحدة إلى الأمام، فى معترك الحياة.

ثانياً - العماء عن المستقبل وعدم تجديد الأهداف :

ومن العقبات التى تَحُول بين المرء وبين الاستمرار فى اكتساب الخبرات؛ عماؤه عن المستقبل، وبالتالى عدم تجديد أهدافه المستقبلية، فيظل منكفئًا على ما هو فيه من واقع تخلَّف عن رَكْب الحضارة، وصار بعيداً عن أضواء الواقع الراهن؛ لأنه من مخلفات الماضى، الذى ركن إليه، ولا يرغب فى أن يتزحزح عنه خطوة واحدة إلى الأمام.

ثالثًا - الطريق المسدود والتشاؤم بإزائه : ومن العوامل التى تؤدى إلى التوقف عن اكتساب الخبرات الجديدة. الشعور بأن المستقبل محفوف بكل دواعى اليأس والقنوط. وأن لا رجاء فى أن يكون المستقبل أفضل من الحاضر، أو أفضل من الماضى.

رابعًا - عدم الانفتاح على مصادر الخبرة : وكذا الحال بالنسبة للشخص، الذى لا تتفتح أمامه مصادر الخبرة، أو وسائل تحصيلها، أو وسائل الامتداد بما سبق له تحصيله منها، فالكثير من الأميين بالريف والمناطق النائية، لا يتسنى لهم الامتداد بخبراتهم، أو العمل على تخصيبها، وذلك بسبب انغلاق البيئات التى نشأوا بها، وعدم اكتسابهم الوسائل التى يتسنى لهم بها تخصيب خبراتهم، أو استثمار مواهبهم وقدراتهم الخاصة، وما أهِّلوا به من مستوى ذكاء، قد يكون مرتفعًا، ولكن بغير فائدة، مادام حبيسًا فى قوامهم، دون أن يرى النور، أو أن يتفاعل مع المؤثرات الخبرية المناسبة له.

خامسًا - الإصابة بالأمراض النفسية : فلقد يكتسب المرء عُقدًا نفسية، بسبب الوقائع والأحداث والصدمات النفسية التى حدثت له، فيصاب بالأمراض النفسية، مما يؤدى إلى تعويق قدرته على اكتساب التقدم فى مضمار التطور

الخبرى، وعجزه عن اكتساب الخبرات الجديدة. أو التطور بالخبرات التى سبق له اكتسابها.

سادساً - انخفاض مستوى الذكاء والقدرات الخاصة : فالشخص المتخلف عقليا، أو الشخص الذى لم يستثمر ذكاءه وقدراته الخاصة منذ طفولته،لا يستطيع أن يتطور بخبراته الضئيلة، وأن يخصبها، ويعمل على تنميتها.

العوامل المساعدة عى تطوير الخبرة :

وفى نهاية المطاف، علينا أن نقوم بإلقاء الضوء، على العوامل التى تساعد على كسب المرء للخبرات الجديدة، وتطوير الخبرات التى سبق له اكتسابها، والتمرس بها :

أولا - التشجيع والارتفاع بمعنوية المرء : فمن العوامل التى تساعد المرء على الاستمرار فى كسب الخبرات الجديدة، التى تساعده على النجاح فى الحياة، وتطوير ما فى جعبته من خبرات، سبق له اكتسابها، والتمرّس بها، ما يقوم به الناس من حوله بتقديره، وإبداء الإعجاب به، والإشادة بمنجزاتة. فالتلميذ الذى يشجعه والداه ومعلموه، يحس بالرغبة فى التقدم بشكل حثيث إلى الأمام، فينكب على المقرارات الدراسية، ينهل منها، ويَعُب من معينها بحماس واجتهاد.

ثانيا - الإحساس بالقدرة على الاستيعاب : فالمرء يتشجع، عندما يستشعر القدرة على استيعاب ما يحاول استيعابه من خبرات، فيقدم على المصادر الخبرية، يغترف منها، بكل حماس وتفاؤل. فالمرء يحرز التقدم إذا ما أحس بأن لديه خلفية ثقافية، وأساسًا خبريًا، يؤهلانه للاستمرار فى الاكتساب الخبرى، والتقدم باستمرار.

ثالثا - الأمل فى إحراز المنفعة : ولا شك أن المرء، الذى يستشعر ما سوف يترتب على اكتسابه الخبرات، من منفعة مادية أو معنوية، لا شك يدأب على النهل من معين تلك الخبرات، فيكون متعطِّشًا باستمرار للاستزادة منها.



الفصل السابع

الخِبْرة وتطوُّر السلوك

مقوِّمات السلوك :

يجـدر بنا قـبل أن نتناول العـلاقـة بين الخـبـرة وتطور السلوك، أن نلقى الضوء على معنى السلوك، فنجد أنه يتضمن الجوانب التالية :

أولاً - السلوك الفـسـيـولوجى : فـعلى الرغم من أن مـعظم الناس، ينظرون إلى السلوك، باعـتـباره خـاضـعًا لإرادة المرء، وأنه مـسـئـول عنه مـسـئوليـة أخـلاقـيـة، فـإن الواقع أن السلوك قـد يكون خـاضـعًا لإرادة المرء، وبالتـالى فـإنه يكون مسئولاً مسؤلية أخلاقية، عن طريقة أدائه، كما أنه قد يكون غير خاضع لإرادته، ولا يكون مسئولاً عنه أخلاقيا، كما هو الحـال بإزاء سلوك المعدة والأمـعـاء، أو سلوك القلب والجـهـاز التنفسى، أو غـيـر ذلك من ألوان سلوكيـة فسيـولوجيـة. ناهيك

عن السلوك الأدائى، الذى لا يخضع لسلطة وسيطرة المرء كما هو الحال فى التجوال فى أثناء النوم Somnambulism.

ثانيًا - السلوك النفسى : فالكثير من الأفكار والمشاعر والنزوعات Conations، قد يعبر عنها المرء فى الواقع الخارجى، أو تظل فى دخيلته،ولا تجد لها تعبيرًا خارجيًا.

ثالثًا - السلوك الإرادى : وهذا النوع من السلوك، يكون خاضعًا لسيطرة المرء، وطَوْع إرادته. ولكن قد يتداخل السلوك الإرادى مع السلوك غير الإرادى. ومثال ذلك ما أضطلع به الآن شخصيًا من دقٍ على أزرار الكمبيوتر، لكتابة هذا الكلام الذى أسوقه فى هذا المقام. فبينما تجدنى أُمْعن فى التفكير، وأخضع ذهنى بصدد الموضوع، الذى أتناوله بالمعالجة التحريرية، فإن العادات السلوكية التى اكتسبتها بإزاء استخدام الكمبيوتر فى الكتابة، قد صارت مؤداة آليا، ولا تقع تحت إمْرة إرادتى.

رابعًا - السلوك الإبداعى : ففى مقابل السلوك النمطى، كالسلوك اليومى الذى اعتاد عليه المرء، كغسل الوجه فى الصباح بعد الاستيقاظ من النوم، فإن هناك سلوكًا آخر، هو السلوك الإبداعى، الذى ينتحى فيه المرء، إلى شق خط جديد، أو ابتكار أشياء مستحدثة، أو إفراز فكر غير مسبوق.

خامسًا - السلوك الجمعى : ففى مقابل السلوك الفردى، الذى يَصْدر عن شخص واحد، فإن هناك السلوك

الجمعى، الذى يَصْدر عن مجموع من الناس، يشكلون شخصية جمعية واحدة متماسكة ومتكاملة.

علاقة السلوك بالخِبْرة :

وبعد أن قدَّمنا هذه الأنواع الخمسة من السلوك، فإن علينا أن نُلْقى الضوء على العلاقة القائمة، فيما بين السلوك وبين الخبرة، فنجد أن هذه العلاقة تشتمل على ما يأتى :

أولاً - بصدد مراحل النمو : فالوليد عندما يخرج من بطن أمه، لا يكون حاملاً فى قوامه، سوى الاستعدادات الموروثة، التى يمكن أن تستحيل إلى سلوك، كما يمكن أن تظل كما هى فى طى الكمون، دون أن تتجسَّد فى أى قوام سلوكى بادٍ للعيان. ولكن مع استمرار الطفل فى النمو، فإنه يتفاعل مع المؤثرات البيئية الطبيعية والاجتماعية، فيحصل على خبرات جسمية، وخبرات عقلية، وخبرات وجدانية، وخبرات أدائية، وخبرات علائقية اجتماعية، ينعكس صداها جميعًا على سلوكه.

ثانيًا - بصدد المشاكل والصعاب : فالواقع أن الحياة، لا تسير على خط مستقيم، بل تسير على خطوط كثيرة متعَرِّجة. وبتعبير آخر: فإن الحياة مفعمة بالكثير من المشاكل والصعاب، التى يجابهها الأشخاص المتباينون، باستجابات

متباينة من شخص لآخر. على أن احتكاك المرء بما يصادفه في حياته من مشاكل وصعاب، يُكسبه ألوانا كثيرة من الخبرات، وينعكس بالتالى ما يكتسبه من خبرات، نتيجة اصطدامه بتلك المشاكل. ونتيجة معاناته من تلك الصعاب. على سلوكه الداخلى، وعلى سلوكه الخارجى على السواء.

ثالثًا - بصدد الإيحاء والتقليد : فالمرء منذ طفولته، وعَبْر مراحل عمره التالية، وهو يستلهم الآخرين من حوله، ويتقَّبل الإيحاءات منهم، ويقَلّدهم فى حركاتهم، وفى طريقة كلامهم. بل وفيما يُعَبِّرون به عن طريق ملامح وجوههم، فيكتسب عن طريق الإيحاء والتقليد. خبرات نفسية وحركية، وبالتالى فإن تلك الخبرات تنعكس على شخصيته، ويتلوَّن بها سلوكه.

رابعًا - بصدد الثقافة : فالمرء يكتسب الخبرات، عن طريق الثقافة، التى يحصل عليها. والثقافة قد تكون معرفية، وقد تكون وجدانية، وقد تكون تعبيرية، وقد تكون أدائية وقد تكون علائقية اجتماعية. ولا شك أن الثقافة بما تشتمل عليه من خبرات متنوعة، تُشَكّل القوام السلوكى للمرء.

خامسًا - بصدد الأهداف المتوخَّاه : فما يترسَّمه المرء من أهداف مستقبلية، يتوخى تحقيقها، ينعكس على شخصيته، ويُشَكِّل قوامًا سلوكيا فى حياته. ولعلنا نقسم الناس إلى ثلاث فئات : فئة يتعلق أفرادها بالماضى، وهم

فئة الرجعيين وفئة يتعلق أفرادها بالحاضر، وهم فئة الواقعيين، وفئة يتعلق أفرادها بالمستقبل، وهم فئة المستقبليين. وكل فئة من هذه الفئات الثلاث، تحصل على خبرة تتَّسم بها، فتكون خبرة تاريخية بالنسبة للفئة الأولى، وخبرة واقعية بالنسبة للفئة الثانية، وخبرة استشرافية مستقبلية بالنسبة للفئة الثالثة وتنعكس هذه الخبرات جميعًا على سلوك أفراد الفئات الثلاث، وتَصْبغه بصبغة معيَّنة.

ديناميات الخبرة وتطوير السلوك :

وعلينا بعد هذا، أن نلقى الضوء على الديناميات التى تعتمل فى قوام المرء، لدى اكتسابه الخبرة ، وما يتأتى عن اكتسابها، من تطوُّر فى السلوك :

أولاً - دينامية النمو الخبرى : فكل خبرة يكتسبها المرء، تعمل على تطوير شخصيته، وبالتالى يتأتى عن هذا التطور، نمو فى مستوى سلوكه. بيد أن هذا النمو الخبرى، ينهج بطريقة تفاعلية، أى أن كل خبرة جديدة، تتفاعل مع المركب الخبرى، الذى توصل إليه المرء، أعنى آخر مستوى خبرى بلَغه. فتأثير الخبرة فى قوام المرء، لا يبدأ من الصفر، بل يبدأ من أعلى مستوى خبرى توصَّل إليه.

ثانيًا - الدينامية اللاشعورية : فاللاشعور يلعب دورًا أساسيًّا فى تنمية شخصية المرء. فالخبرات التى يحصل

عليـهـا، والتى تتـفـاعل مع قـوامـه، يكون تفـاعلهـا بطـريقـة لاشـعـورية. وليس بطريقـة شـعـورية. صـحـيح أن المرء، يكون واعـيًا بالمصـادر التى يسـتـقى منهـا الخـبـرة، ولكنـه لا يدرك الوسـائل والكيفيات، التى تتفـاعل بها الخبرات، التى يحصل عليـها من الخـارج، فى قـوامـه النفسى الداخلى. فـالديناميـة اللاشعورية، تلعب أدوارها بعيدًا عن إدراك وتوجيه المرء.

ثالثًا - ديناميـة الفـرز والغـربلة : فـالخـبـرات التى يكتسـبـهـا المرء من خـارج نطاقـه، لا تواتيـه كـمـا هـى، وكـمـا يصـادفـهـا، أو كـمـا تَصـدر إليه، بل إنه يقـوم بعـمليـة انتقـائيـة فرزية وبتعبيـر آخر: فإنه يقوم بعملية حذف وانتقـاء، فيلتقط الصالح والمفضَّل لديه من العناصر الخبرية التى تقدَّم إليه من الواقع الخـارجى. فكمـا أن المعـدة تقـوم بعـمليـة فـرز للأطعـمـة والأشربة التى تصل إليها من الفم والبلعوم، فتقـوم بانتقـاء مـا يناسبها، وتنبو عمـا لا يناسبها، كذا فإن المخ البشرى، يضطلع بهـذه العـمليـة الانتقـائيـة، بصـدد الخـبـرات التى تُعرض عليـه، فينتقى منها ما يناسبه، وينبذ ما لا يناسبه.

رابعًا - ديناميـة التوظيف الموضوعى : وبينمـا يستقبل المخ العناصـر الخِبْرية، التـى تلائمـه، وينبـذ مـا لا يلائمـة. فإنه من جهة أخرى، يقـوم بعملية تصديرية توظيفية، لما يستوعبه من خبـرات، فلا يقتصـر على عملية التـخزين الخبـرى، بل يعبِّر عنها خارج نطاقه، فى المجالات الأدائية المناسبة لها.

خامساً - ديناميات الذبول والنسيان : على أن المخ، يقوم أيضًا بوظيفة أخرى، هى وظيفة التخلُّص من الخبرات، التى لا لزوم للإبقاء عليها فى المخزن الخبرى التذكرى، وذلك حتى يخفِّف من شدة الضغط على الذاكرة التى تستقبل تلك الخبرات، ونقصد بالذاكرة: ما هو أكثر من الذاكرة المعرفية. فالعادات العقلية والوجدانية والتعبيرية والأدائية والعلائقية، تنخرط جميعًا فى نطاق الذاكرة. فثمة خبرات معرفية، وخبرات وجدانية، وخبرات تعبيرية، وخبرات أدائية، وخبرات علائقية، يحتفظ المخ بجانب منها فى الذاكرة، بينما يتخلص من جانب آخر منها ويستبعده من نطاق الذاكرة، التى قدمناها بهذا المعنى الواسع والشامل.

الخبرات الرديئة المؤثرة فى السلوك :

وعلينا بعد هذا أن نقوم بإلقاء الضوء على الخبرات الرديئة التى تؤثر تأثيرًا رديئًا فى سلوك المرء، فنجد أن تلك الخبرات، يمكن أن تتحدَّد على النحو التالى :

أولاً - الخبرات السادية والماسوكية : والسادية Sad-ism هى الالتذاذ الجنسى عن طريق إيقاع الألم على الشريك الجنسى فى أثناء الممارسة الجنسية، والماسوكية Maso-chism هى الالتذاذ الجنسى عن طريق تَقَبُّل الألم من الشريك الجنسى فى أثناء الممارسة الجنسية. ولا شك أن العنف الجنسى التصديرى، أو التقبُّلى، يَعُم الشخصية،

ويصير من سماتها الرئيسية. فيكون الشخص السادى عدوانيًا بشكل عام، حتى فى اتصالاته العادية مع الناس من حوله، كما أن الشخص الماسوكى، يكون شخصية خانعة، تتقبَّل ما يُوقعه عليها الآخرون من إيذاء.

ثانيا - الخبرات المتعلقة بالاستيلاء على ملكيات الآخرين : ولا شك أن الطفل الذى يحاول الاستيلاء على ما فى أيدى إخوته وأخواته وأصدقائه، ولا يُقَوَّم سلوكه فى أثناء طفولته، إنما يشب عن الطوق، وهو راغب فى الاستيلاء على ممتلكات الآخرين. فينمو لصًا، مع تباين الأشياء التى يسطو عليها. فقد يكتسب سلوك شخص هذا شأنه صفة السرقة، سواء كانت المسروقات مادية، أم مسروقات معنوية، كسرقة بَحْث أو ترجمة كتاب، وينسب الشخص السارق البحث أو الترجمة إلى نفسه.

ثالثًا- الخبرات المتعلقة بالغضب : فالشخص الذى ينشأ على الانصياع، لما يشتعل فى قوامه من غضب، بحيث لا يُبْقى ولا يَذَر، فيحطم الآنية، ويلقى بالأشياء الثمينة من النافذة، أو يسكب الطعام على المائدة، إنما يصطبغ سلوكه بُرمَّته بصبغة الهياج الغضبى لأتفه الأسباب، وقد يتواكب الغضب مع الإيذاء الجسدى، أو مع الإيذاء الأدبى، وتكون عاقبة الشخص من هذه الفئة عاقبة وخيمة، إذ إنه لا يستطيع إلجام غضبه.

رابعًا - الخبرات المتعلِّقة بالنمطية المُفرطة : فعلى الرغم من أن اتِّباع روتين معين فى الحياة، والتلبسُ بمجموعة من العادات السلوكية، فى الحياة الشخصية،أو فى ممارسة الأعمال، يعتبر شيئًا مفيدًا ومريحًا، فإن الاقتصار على النمطية فى ممارسة الحياة، دون محاولة التفرُّد بألوان سلوكية متغيرة ومتطورة، وذات طابع شخصى معَّين، بحيث تكون العادات والأنماط السلوكية، مجرد خادم خاضع للمرء، وليست سيدة عليه، إنما يضرب الشخصية بالجمود، وبعدم القدرة على التكيُّف للواقع، أو الاستعداد للمستقبل.

خامسًا - الخبرات المتعلقة بالتعلُّق الشديد بالناس : فمن الخبرات الرديئه، عدم قدرة المرء على الاستقلال، والتلُّبس بالفطام النفسى، والتحُّرر من العبودية النفسية لأشخاص بالذات. فكما أن الرضيع، يجب أن يتخلَّص مع النمو من الرضاعة من لبان ثديى أمه، ويعتمد على نفسه فى تناول الأطعمة والأشربة بنفسه، وكما أن الحابى من الأطفال، يجب أن يتخلَّص من التحرك فى المكان عن طريق عملية الحَبْو، كذا فإنه على المرء أن يستقل بذاته، وألا يكون خاضعًا للتعلُّق الشديد المبالغ فيه بالآخرين، فكلما استقل المرء فى فكره وعاطفته وإرادته، عن أفكار وعواطف وإرادة الآخرين، وكانت له أفكاره وعواطفه وإرادته المستقلة والمتحررة، فإنه يكون إذن

صاحب سلوك سوى. ولكننا مع هذا لا ننكر أهمية الحب والتعلق المعقول بالآخرين، بل إن ما ننكره ونستكرهه هو الحب والتعلق اللذان يعملان على ضياع معالم الشخصية. ومصادرة استقلالها.



الفصل الثامن

الذكاء والخبرة

إلقاء الضوء على مفهوم الذكاء :

قبل أن نتناول علاقة الذكاء بالخبرة، فإن علينا أن نُلقى الضوء على مفهوم الذكاء، فنجد أنه يتضمن الجوانب التالية :

أولاً - الذكاء استعداد وراثى : فليس هناك من يُنّكر، أن الطفل يولد وهو يحمل استعدادات وراثية جسمية وعقلية. ولكن الاختلاف يبدو، بإزاء العلاقة بين الوراثة والبيئة. فالبعض يعتقدون، أن الذكاء الموروث، لا يتأثر من قريب أو من بعيد، بالمؤثرات البيئية. فما يرثه المرء من ذكاء، يظل كما هو طول العمر، دون أن يتأثر بأى مؤَثّر خارجى. أما البعض الآخر ممن يتناولون هذا الموضوع، فإنهم يعتقدون أن الذكاء عبارة عن خامة تتفاعل مع ما يصادفها من مؤثّرات بيئية، بدءاً بالبيئة الحشوية فى بطن الأم. وكل تفاعل تال للتفاعل الأول،

إنما يكون بين المؤثر الجديد، وبين المركب الخبرى للذكاء الذى انتهت إليه سلسلة التفاعلات الخبرية التى تعرَّض لها المرء. وهكذا يكون الذكاء الذى ينتهى إليه المرء ، عبارة عن المحصلة الخبرية للخبرات، التى انحرط فيها طوال الفترة من عمره، منذ اللحظة التى تكوَّن فيها جنينًا فى بطن أمه، وعَبْر مراحل عمره التالية، حتى اللحظة التى يمر بها حاليًا.

ثانيًا - الذكاء هو القدرة على تبيُّن العلاقات :

فالشخص الذكى، يستطيع أن يدرك العلاقات الدقيقة الموجودة بين الأشياء والأحياء والأشخاص والجماعات، وأيضًا بين الرموز المنطوقة والمكتوبة، وبين الأشكال والرسوم والمجَّسمات، وأيضًا بين الأصوات والأنغام والحركات والملامح التى ترتسم على الوجوه. ناهيك عن الوقوف على العلاقات بين الأحداث الماضية بعضها وبعض، وبين الأحداث الماضية والأحداث الحالية.

ثالثا الذكاء هو القدرة على استشراف المستقبل :

فالشخص الذكى، يستطيع أن يُلّقى ببصيرته، إلى ما يُحتمل حدوثه فى المستقبل القريب، وفى المستقبل البعيد. فكلما كان أكثر ذكاء، فإن بصيرته المستقبلية، تكون على مستوى أعمق وأدق. ناهيك عن قدرته على الربط بين أحداث الماضى، ووقائع الحاضر، وما يتوقَّع حدوثه فى المستقبل. وهو فى رَبْطه بين الماضى والحاضر والمستقبل، يكون على مستوى

عظيم من القدرة على التوصُّل إلى استنتاجات هامة، والوقوف على علاقات سببية مَكينة.

رابعًا - الذكاء هو التميز بين الأهم والمهم وغير المهم والتافه من الأمور : فالشخص الذكى، يتسنى له الوقوف على القِيَم التى يجب أن تُنَاط بالأشياء والمواقف والحالات والظروف المختلفة. ولذا فإنك تجده يرتِّب اهتماماته بطريقة راسخة. فهو يعمل فى حياته ببصيرة وتقدير للأمور بدقة، ولا يؤدى أنشطته بطريقة اعتباطية، ولا يخلط الحابل بالنابل بل يستهدى بالتقييم الدقيق للقيم التى يتوصَّل إليها، بإزاء الناس والأحياء والأشياء والأعمال. فهوَ يَنكَبُّ على ما يجب أن يضعه فى نطاق الأولوية المطلقة، بينما يُغْضى عما يجب الإغضاء عنه، وإسقاطه من حسابه.

خامسًا - الذكاء هو القدرة على اكتساب الخبرة من الأحداث، ومما يطّلع عليه من حقائق، أو يصل إلى ذهنه من أفكار أو معلومات : فالشخض الذكى، يكتسب الخبرة، بالوقوف على الوقائع والحقائق، ولا يكون مجَّرد مستقبِل، لما يُلْقى به إليه من معلومات، عن طريق الضغط عليه من الخارج، أو بتحفيظه المعلومات. فمقْود ذاته، يظل ممسكًا به فى يده، ولا يتركه فى أيدى الآخرين. إنه فقط يجعل من الآخرين عوامل مساعدة لتبصيره بالحقائق والمواقف والغايات، ولكنه لا يعتمد عليهم فى تحصيل الخبرة، بل يعتمد على

نفسه فى ذلك. فهو ينبعث فى تعلُّمه من دخيلته، وليس من المعلمين. وبتعبير آخر : فإنه ينتقى ما يناسب مزاجه واستعداداته للتعلم، بينما يُغضى عما لا يناسبه، وعما يحس أنه مباين لمذاقه، وناب عن استعداداته التى جُبِل عليها، أو مغايِّر للمستوى الخبرى الذى توصَّل إليه.

علاقة الذكاء بالخبرة :

وبعد أن قمنا بتقديم هذه النقاط الخمس، التى يَتَّصف بها الذكاء، فإن علينا أن نلقى الضوء، على العلاقة بين الذكاء والخبرة، فنجد أن هذه العلاقة، تتمثَّل فيما يلى :

أولاً - استثمار الوقت فى التحصيل الخبرى : فالشخص الذكى، يَضِنُّ بوقته، فلا ينفقه فى غير ما يُجْدى، وفيما فلا يرجع عليه بفائدة خبرية. وهو يحس أن الحصول على خبرة جيدة جديدة، أعظم من الحصول على كنوز العالم بأسره. فكلما زادت حصيلته الخبرية، زادت قيمته الشخصية فى نظر نفسه. ولذا فإنك تجده حريصًا على استثمار كل ثانية من وقته. وحتى الوقت الذى يقضيه فى النوم والراحة والتنزُّه، إنما يعتبره وقتًا مستثمرًا، باعتباره استعدادًا لاكتساب خبرات جديدة.

ثانيًا - توظيف الخبرات : والشخص الذكى، هو ذاك الذى يواكب بين التحصيل الخبرى، وبين التوظيف الخبرى.

فهو لا يستقبل الخبرات من الخارج لتخزينها، أو لتشوينها. بل يستقبل الخبرات ويُصَدِّرها فى الوقت نفسه. فهو لا يَفْصل بين الوقت الذى يستقبل فيه الخبرة، وبين الوقت الذى يصَدِّرها فيه. بل يُحْيى خبراته. جولا يقبل على تحصيل أى خبرة، كائنة ما كانت، بل يحصِّلها إذا كان متأكدًا من أنها قابلة للتوظيف. ولذا فإنك تجد الشخص الذكى مفعمًا بالحيوية، والمشاركة فى ركب الحياة، فيستثمر خبراته فى مواقف جديدة، ويكون حيًّا بما حصله ممنها، وبما يعتمل فى قوامه بتفاعلها بعضها مع بعض، وبما يقدِّمه فى شكل ثمار خبرية، إلى المجتمع الذى يتعامل معه، ويحيا فى إطاره.

ثالثًا – الإفادة من الإمكانات المتاحة : والشخص الذكى، هو ذاك الذى يستثمر حميع الإمكانات المتاحة. كما أنه يتواكب مع التطورات الحضارية والتكنولوجية التى تتدفَّق فى السوق. فلا يتوقف عند مرحلة تطورية لا يتقدَّم بعدها. فهو لا يتقاعس عن أن يتقدم مع ما يحدث من تقدم مستمر فى وسائل التحصيل الخِبرى، وفى وسائل التصدير الخبرى. إنه يستفيد بالإنترنت، ويواظب على متابعة الأحداث السياسية والعلمية، ويقف على النتاجات الأدبية والعلمية. ولكنه لا يستقبل كل ما هَبَّ ودَبَّ من النتاجات العلمية والأدبية، دون تمييز أو تقييم، بل يعمد

بصفة دائمة. إلى تقييم ما يُقبل عليه، ويحصّله ويضمُّه إلى محصلاته الخبرية السابقة. وأهم ما يستهديه فى تحصيله الخبرى، هو أن يلم بالخطوط العريضة بكل موضوع أو مسألة أو حالة مما يروق له الوقوف عليه، ولا يهتم بالإلمام بالتفاصيل. فأهم ما يهمّه، هو أن يقف على الهيكل العظمى فى كل خبرة يستقبلها ويستوعبها. ومن حيث التصدير الخبرى فإن الشخص الذكى، يستهدى بالمبدأ الاقتصادى، فى إنتاجه، أو تصديره الخبرى فهو يعمِد إلى تقديم خبراته أو بالأحرى محصّلاته الخِبرية من أقرب طريق، وبأخصر وسيلة، وفى أحسن صورة ممكنة، وبأقل جهد ممكن. ومن الطبيعى أنه يتخير ما يقدمه، فلا يقدّم للآخرين إلا ما يستشعر أهميته، ويفاضل بين ما يهمه شخصيًّا، وما يهم من سوف يتلقّون خبراته، فيفضلهم على نفسه فيخاطب الآخرين على قَدْر عقولهم، وفى ضوء أذواقهم، ومشاعرهم. وهو فى الوقت نفسه، لا يتملّق الناس الذين يقدّم إليهم خبراته، بل يقدّم لهم ما يفيدهم، أو ما يناسبهم من حيث تذوقاتهم، ومن حيث المستوى الخِبرى الذى بلغوه.

رابعًا - التعاون والتنافس : والشخص الذكى، هو ذاك الذى يستثمر خبراته فى الأنشطة التعاونية والأنشطة التنافسية، التى يمارسها مع الآخرين، الذين يتعاون أو يتنافس معهم. فهو يعرف كيف يُقيم علاقات جديدة مع غيره، لم تكن

قائمة قبل ذلك، كما يعرف كيف يقوى أو يضعف أو يقوِّض علاقات لا يرضى عنها. تكون قائمة بالفعل مع بعض الشخصيات، أو مع بعض الجماعات. وهو يتمكن من ممارسة التعامل مع الآخرين، سواء بالكلام المنضبط، أم بالتصرفات اللبقة، كما أنه يعطى الفرصة لغيره، للتعبير عن أنفسهم، أو لتقديم الأنشطة التى ترضيهم، والتى تفيده وتزيد من حصيلته الخبرية، فهو يقدِّر الناس الذين يتّصل بهم بدقة وحصافة، وينتقى من بين خبراتهم ما يناسبه، وما يتسنى له الإفادة منها، واستثمارها وتوظيفها فى المواقف المُقبلة. وباختصار فإن الشخص الذكى يستطيع أن يتعاون مع من يحب أن يتعاون مع من يحب أن يتعاون معهم، كما أنه يتنافس مع من يحب التنافس معهم.

خامساً - الموازنة بين الأثَرة والإيثار: والشخص الذكى، هو ذاك الذى يعرف جيَّدا كيف يُولى اهتمامه بنفسه، وكيف يُولى اهتمامه بغيره. وهو يميِّز درجات التضحية من أجل الآخرين، ويحدِّد الناس الذين يجب أن تكون تضحيته من أجلهم فى القمة، ومن منهم يجب أن تكون التضحية من أجلهم بقسط متوسِّط أو ضئيل، أو لا يكون لهم أى نصيب من تضحياته. وهو يعرف كيف يهتم بشخصيته، ولا ينساها، ولا يَغْفل عن مطالبها فى غمرة الاتصال بالناس، والانخراط فى صفوفهم. فالذكى يعرف كيف يخدم نفسه وكيف يخدم

الآخرين، ويعرف الوقت اللازم لقضائه مع نفسه، والوقت الذى يجب أن يقضيه مع الآخرين. فهو يعلم جيدًا أن هناك العالمَ النفسى الداخلى، الذى يجب أن يحيا فى نطاقه الوقت الكافى، وأن هناك العالم الخارجى المتمثل فى العلاقات الاجتماعية، الذى يجب أن يعطيه حقه من وقته واهتماماته أيضًا. فتحقيق التوازن بين العالم الداخلى، وبين العالم الخارجى، هو خير شاهد على تمتُّع المرء بالمستوى الجيِّد من الذكاء، وعلى حسن استخدامه، واستثماره بطريقة جيدة، والانتفاع به بطريقة سويَّة.

المزالق التى يتردَّى فيها بعض الأذكياء :

وعلينا فى نهاية المطاف، أن نلقى الضوء على الأخطاء أو المزالق، التى يمكن أن يخطئ بإزائها، أو ينزلق إليها بعض الأذكياء، فنجد أنها تتمثَّل فيما يلى :

أولاً - الانتحاء إلى طريق الشر بدلاً من طريق الخير : فليس جميع الأذكياء ينتحون إلى الخير، ويتجنبون الشر، بل إن البعض منهم، يستثمر ذكاءه، فى إحراز الخبرات الشريرة. وحتى الخبرات التى تتصف بالقيمة العظيمة، يعمدون إلى استغلالها فى طريق الشر. خذ مثالاً لذلك بمزيِّف النقود. إنه يكون شخصًا متسمًا بالذكاء المرتفع، ولكنه يوجِّه ذكاءه وجهة خاطئة.

ثانياً - التبطُّل ودفن الذكاء : فبعض الأذكياء. لا يحاولون استثمار ما وُهِبُوه من ذكاء مرتفع، بل إلى الركون إلى السلبية، والتوقُّف عن المشاركة، فى رَكْب الحياة، فكل واحد من هذه الفئة، ينخرط فى أحلام اليقظة أطول مدة ممكنة، فيجيلون ذهنهم فى المكبوتات الجنسية، أو فى المكبوتات الانتقامية.

ثالثاً - الإصابة ببعض الأمراض النفسية : وبعض الأشخاص الذين أوتوا ذكاء مرتفعًا، لا يتمتعون فى الوقت نفسه بالصحة النفسية الجيدة، بل يصابون ببعض الأمراض النفسية، التى تَحول بينهم وبين تلقى الخبرات ذات القيمة، أو استثمار ما حصّلوه من خبرات فى الواقع الإيجابى المفيد. ونأسف إذ نقول : إن ثمة ارتباطًا ما، فيما بين الذكاء المرتفع، وبين القابلية للإصابة ببعض الأمراض النفسية، التى تعمل على ضياع فرصة الإفادة من الخبرات، التى يمكن أن يَحْصلوا عليها، واستثمارها إيجابيًا فى حياتهم.

رابعاً - المناخ الاجتماعى الردىء : والكثير من الأذكياء، ينشئون فى مجتمعات متخلِّفة، وبالتالى فإن المصادر الخبرية ذات القيمة، لا تتوافر لهم. ومن ثَمَّ فإن مال ذكائهم، يكون إلى الدفن والضمور بسبب عدم توظيفه تمامًا، أو بسبب توظيفه فى أمور تافهة، فلا يتسنى لهم إحراز خِبرات ذات بال.

خامساً - سيطرة الرجعية على المرء : فالشخص الذى لا يقيم أى وزن للحاضر أو المستقبل، بل يرتمى فى أحضان الماضى فحَسْب، لا يستطيع أن يستثمر ما أُهِّل به من ذكاء مرتفع، فيما ينفعه أو ينفع غيره، فهو يحيا فى لفائف الماضى، ويكون شأنه شأن الأجساد المحنَّطة فى متاحف الآثار.



الفصل التاسع

العبقرية والخبرة

معنى العبقرية :

قبل أن نحاول استكشاف العلاقة بين العبقرية والخبرة، فإن علينا أن نلقى الضوء على معنى العبقرية، علمًا بأنه قد سبق لنا أن قدمنا إلى القراء كتاب **العبقرية والجنون** متضمنًا بالطبع معنى العبقرية. بيد أننا فى هذا المقام، سوف ننظر إلى العبقرية من زوايا جديدة، لم يتضمنها الكتاب المذكور، فنقول إن العبقرية تتضمن المعانى التالية:

أولاً - المعنى البيولوجى : فالعبقرى شخص تجمعت فى قوامه الوراثى، مقومات فريدة وممتازة، وتوافرها بعضها مع بعض فى قوام شخص واحد، يسمح له بأن يكون شخصًا عبقريًا. وهذه المواكبة بين تلك المقومات الممتازة، لا تتوافر إلا لندرة نادرة من الأفراد. وحيث إن هناك مستويات

متفاوتة من العبقرية، من عبقرى إلى عبقرى آخر، فإن ذلك التفاوت فى المستوى، يتأتّى عن عدم التئام تلك المقومات الفريدة فى قوام كل شخص عبقرى، بنفس المعدَّل، وبنفس الفاعلية.

ثانيًا - المعنى السيكولوجى : وهذا المعنى ينصَبُّ على المركّب الخِبرى، الذى يتأتى للعبقرى، نتيجة التفاعلات الخِبرية التراكبية التى تحدث فى قوامه، مما يؤدى إلى انطلاق وتفاعل المقومات الوراثية الممتازة، التى ورثها عن أسلافه القريبين، وعن أسلافه البعيدين على السواء، مع المثيرات البيئية الطبيعية والاجتماعية، بحيث تحدث التفاعلات الخبرية التالية، بين المثير الخبرى والمركَّب الخبرى، الذى انتهى إليه الكيان النفسى للعبقرى.

ثالثا - المعنى اللاشعورى : وهذا المعنى المنوط بالعبقرية، يقرر أن المكبوتات اللاشعورية، التى تعتمل فى قوام العبقرى، تتفاعل بعضها مع بعض، وقد يتأتى عن تفاعلها بالنسبة للعبقرى، الانصراف عن الواقع الخارجى، أو قل عدم الخضوع له، بل والسيطرة عليه، واستخراج نتاجات فريدة، لم تكن معروفة، قبل أن يقوم العبقرى بكشف النقاب عنها، وإخراجها من نطاق الكمون إلى نطاق الواقع.

رابعاً - المعنى الإلهامى : وهذا المعنى ينحو إلى تفسير العبقرية بالغيبيات. فالعبقرى يستلهم قوى خارجية روحانية، تلهمه بالمكتشفات، أو بالمنجزات العبقرية، أو أنه يستلهم العقل الجمعى، أو أنه يتراسل روحيًا بالتلبات Telepathy، أو الاتصال بين عقله وعقول العباقرة من أمثاله عن بُعد، حتى بغَيْر أن تقوم علاقة شخصية بينه وبينهم، فتتضامن عقول العباقرة البعيدين بعضهم عن بعض فى المكان والزمان، ويتأتّى عن تعاونهم، وتفاعل عقولهم بعضها مع بعض، الكشف عن أسرار وجودية كانت مخبوءة عن الأنظار.

خامساً - المعنى الحَدْسى : والعبقرية بهذا المعنى، تعنى أن العبقرى يتذرَّع بالحدس، أى القفز الذهنى، وذلك بدمج العديد من الخطوات أو المراحل الفكرية، والوصول طفرة واحدة إلى النتيجة. فبينما يبدأ الشخص العادى من الأسباب وينتهى إلى النتائج، بحيث يتوقف بعد كل خطوة، لكى يبدأ فى الخطوة التالية، فإن العبقرى، يقفز من الأسباب إلى نتائجها طفرة واحدة، وذلك لأن عقله يستطيع أن يمر بسرعة خاطفة، عَبْر جيع الخطوات التى تبدأ من الأسباب إلى النتائج، دون أن يتوقف عند أى واحدة منها. وهذه الخاصية شبيهة، بما

يحدث في القراءة الكلية، التى يقفز خلالها القارئ عَبْر الجمل. ولا يتوقف عند الحروف التى تتضمنها كل كلمة يمرِّر عليها عينيه. فنحن هنا نشبِّه الحدس بهذه القراءة الكلية الطفرية، التى يكون الإدراك خلالها إدراكا جشطلتيًا Gestaltist، وليس إدراكًا تركيبيًا، بدءًا بإدراك الحروف، وانتهاء إلى إدراك الكلمات، ثم بدءًا بإدراك الكلمات وانتهاء إلى إدراك العبارات. فالعبقرى شخص جشطلتى الفكر، إذ إنه يقفز فوق الأفكار الجزئية، ويتخطَّاها إلى الأفكار الكلية، أو بتعبير آخر فإنه يهبط بطفرة لحظية، على النتائج، دون المرور خطوة فخطوة من الأسباب إلى النتائج.

العلاقة بين العبقرية والخبرة :

وعلينا أن نقوم بعد هذا بإلقاء الضوء، على العلاقة بين العبقرية والخبرة، فنجد أن هذه العلاقة تتمثل فيما يلى :

أولاً - الكَلَف بانتقاء العناصر الخِبرية : فالعبقرى يهتم منذ طفولته باستعراض الخيارات الخبرية الممكنة فى كل موقف يوجد به، ثم يقع بعد ذلك على أفضل وأنسب تلك الخيارات الخبرية ويحملها على التفاعل مع المركَّب الخبرى

الذى يشير إلى آخر مستوى خبرى توصل إليه. والعناصر الخبرية التى يدقق العبقرى فى تخيُّرها، قد تكون عناصر عقلانية معرفية أو منطقية، وقد تكون عناصر وجدانية تتعلق بالحب والكراهية، وقد تكون عناصر أدائية تتعلَّق بالعادات أو بالمهارات الحركية، وقد تكون عناصر علائقية اجتماعية.

ثانيا - البحث عن الإبداعات غير المسبوقة : وحتى يتسنى للعبقرى أن يستثمر عبقريته، فإنه يَكْلَف بالبحث عن المجهول، ويسعى للوقوف عليه، وتبينُّ ملامحه ومقوماته، والخروج به من طى الكمون إلى عالم النور. بيد أن العبقرى فى محاولاته للكشف عن المجاهل التى لم تر النور بعدُ، فإنه يقوم بغربلة الواقع، فينبو عن المألوف الذى تم الوقوف عليه، وُيقْبل على المخبوء، الذى لم يتسن لأحد كشف النقاب عنه، والوقوف عليه.

ثالثًا - البحث عن وسائل جديدة، ومناهج مستحدثة : وفى عملية البحث عن المجهول الذى لم يتسن لأحد كشف النقاب عنه، فإن العبقرى، يبحث فى الوقت نفسه، عن وسائل ومناهج بحث واستقصاء ناجعة، حتى يتسنى له استخدامها فى عملية الإبداع غير المسبوق. وحتى فى أثناء

تطبيقه لما سبق إليه غيره من وسائل ومناهج تذرعوا بها، فإن وسائل ومناهج بحث جديدة غير مسبوقة، تلتمع فى ذهنه، فيبدأ فى التذرع بها، والإغضاء عن وسائل ومناهج البحث المألوفة، والتى يتبعها غيره من الباحثين أو المفكرين.

رابعًا - استخدام الخامات لأغراض جديدة : فالواقع أن النزعة إلى الاختراع، تعتبر من النزعات المسيطرة على ذهن وقلب العبقرى. ولكن ما نعنيه بالاختراع عند العبقرى، ليس مجرد اختراع الآلات أو التكنولوجيات الجديدة، بل نقصد بالاختراع المعنى الواسع، الذى يجعل من كل خامة ذهنية، أو وجدانية، أو أدائية، أو إجتماعية نقطة انطلاق جديدة، لكى يتأتى عن تصييغها، منتجٌ ذهنى، أو وجدانى، أو أدائى، أو اجتماعى غير مسبوق. فالعبقرى يخترع بهذا المعنى، وسائل جديدة للفكر، ووسائل جديدة للتعبير عن العواطف والانفعالات، ويخترع وسائل جديدة، لما يقوم بتدبيجه من كلام، أو ألحان، أو أشكال، أو تكنولوجيات. وباختصار فإن العبقرى، لا يقنع بما انتهى إليه غيره، بل يسعى لترك بصمته، على كل ما يقع تحت حسِّه من أشياء، فيعدِّل ويطوِّر، ويستبعد ويضيف، ويستخدم الأشياء بطرائق جديدة، ولأغراض، لم تُجعَل لها أصلاً.

خامساً - السيطرة على الواقع : والعبقرى فى استلهام خبراته من الواقع الاجتماعى، لا يكون كالإسفنجة التى تمتص السوائل المحيطة بها، بل إنه يهتم بأن يكون هو المسيطر على مقاليد الواقع. ذلك أنه يتأبَّى على الانصياع للشائع حوله من أنماط سلوكية، بل يستمسك بما تفرضه عليه عبقريته من سلوك، حتى ولو لم يُرض الناس من حوله، بما يصدر عنه من تصرفات ومواقف وتوجُّهات، وبما يتذرع به فى حياته من قيم. ومن هنا فإن الكثير من العباقرة، يُتَّهمون بالجنون أو بالخروج على التقاليد، والأعراف الاجتماعية، ويضربون عُرض الحائط بالقيم التى تعطِّل عجلة التقدم، أو تتعارض مع المنطق السوى. ذلك أن العبقرى يحس، بأن الانصياع للمقررات الاجتماعية، معناه مسخ شخصيته، والتنازل عما أهِّل به من عبقرية. ولذا فإن الغالبية العظمى من العباقرة، ينأون بأنفسهم عن التجمعات الجماهيرية، ويتعشقون العزلة عن الناس، والاعتكاف لمدد طويلة، وذلك خوفاً من ذوبان شخصياتهم فى خِضَم العلاقات الاجتماعية.

القيم التى يتمسك بها العبقرى للحفاظ على خبراته : ولعلنا نتساءل بعد هذا عن القيم التى يتمسَّك بها

العبقرى. حتى يصون بها عبقريته. وما اكتسبه من خبرات.
فنجد أن تلك القيم، يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - التفردية : فالعبقرى يتأبى على الانصهار فى بوتقة الجماعة، التى ينتمى إليها، بل يظل نسيجَ وَحْدِهِ Sui Generis. وحتى يتحاشى العبقرى الصدام مع الجماعة التى ينتمى إليها، فإنه يحاول عدم الغَوْص فى قرارها، أو الذوبان فى قوامها. ولكن هذا لا يعنى أنه لا يكترث بها، بل يعنى أنه يحس بأنه إذ يشاهد جماعته من الخارج، فإنه يستطيع إذن أن يدركها بدقة، على عكس الغوص فى قرارها، مما يَحُول بينه، وبين التمكن من مشاهدتها على حقيقتها.

ثانيًا - الإبداعية : فالعبقرى يتخذ من النمطية، ذريعة للتوصل إلى الإبداعية. فهو يختلف عن كثير من الناس، الذين يعتبرون روتين الحياة،مجردوسيلة يتذرعون بها. للكشف عن آفاق جديدة غير مسبوقة، أى الكشف عن إبداعات، ظلت مخبوءة، عن أنظار غيره من المعاصرين له، أو السابقين عليه فى طى التاريخ.

ثالثًا - التأمل الغائص فى اللاشعور : فالعبقرى يستخرج من قوامه اللاشعورى اللآلئ الفكرية والوجدانية

وطرائق الأداء المبهرة والنفيسة من قوامه اللاشعورى. ذلك أنه باستقباله للانطباعات الحسية، التى تترجم بمراكز الترجمة بمخه، والتى يترسَّب جانب منها فى ذاكرته المعرفية. وبعد ذلك تقوم المخيلة بصنع أخيلة جديدة من المدركات الحسية ومن الذكريات، ثم يضطلع الفكر Reason بعمليتى التجريد والتعميم، فإنه يحتفظ فى لاشعوره، بجانب كبير مما يتم التوصُّل إليه، من هذه العمليات الاستقبالية والاعتمالية. وهو عندما يفكر، فإنه لا يقدِّم حصيلة خبراته كما استقبلها، بل يقدِّم مركَّبات جديدة من تلك التى قام لاشعوره بتركيبها مما ترسَّب فيه من تلك العمليات الذهنية الإدراكية الحسية، والتذكرية، والتخيلية، والتصورية. فهو فى تأملاته العميقة، يكون شبيهًا بالشخص الغارق حتى أذنيه فى أحلام عميقة، ويكون مثله مثل سقراط (حوالى ٤٧٠ - ٣٩٩ق م)، الذى كان يقع فى سُبَات عميق، وهو واقف على قدميه، أو وهو سائر فى الطريق بين الناس، وكان يعتقد هو شخصيًا، أن جنِّيًا يقطن بدخيلته، ويلقِّنه الفلسفة.

رابعًا - العناية الفائقة بوسائل التعبير : فالعبقرى يعتقد أن الوسائل التى يعبِّر بها عن أفكاره، أو عن إبداعاته الأدائية، ذات أهمية خاصة. فهو يعلم جيدًا أن ضعف القدرة

على التعبير عن دخيلته . وعما اختمر لديه من فكر أو تخطيط. أو وجود عوائق أو انحرافات تشين قدراته على التعبير، وإضعاف قدرته على الإبانة، إنما تعمل جميعًا على التقليل من قيمة ما يتوصَّل إليه من إبداعات غير مسبوقة.

خامسًا - النأى عن الدعاية والشهرة : فالعبقرى يثق ثقة تامة، فى أن من العبث، الجرى وراء الشهرة وبُعْد الصيت. فهو يثق فى أن الشخص، الذى يبحث عن الشهرة، لا يكون واقفًا بالتأكيد على أرض صُلْبة، بل يكون مخدوعًا فى قيمة شخصيته. أما الشخص الذى يتمتع بالأصالة والعبقرية، فإنه لا يكون بحاجة إلى الطنطنة الفارغة، أو إلى الفرقعات الدعائية، التى يتذرع بها المهرجون، لكى ترفع من شأنهم، وتُضْفى عليهم من الصفات، ما لا يوجد لديهم باع طويل بإزائها.



الفصل العاشر

الموهبة والخبرة

الحقائق المتعلقة بالموهبة :

الموهبة عبارة عن استعداد نفسى، يتجسَّد فى الواقع السلوكى للمرء. وعلينا قبل أن نلقى الضوء على علاقة الموهبة بالخبرة، أن نستكشف الحقائق المتعلقة بها، فنجد أنها على النحو التالى :

أولاً - الموهبة ثمرة للاستعداد النفسى : فالاستعداد النفسى بمثابة الخامة، التى يتم تصنيعها عن طريق الممارسة العملية فى الحياة. وبتعبير آخر، فإن الموهبة هى النتيجة المتأتية عن تفاعل الاستعداد بالمؤثرات البيئية والاجتماعية والحضارية.

ثانيًا - الموهبة تُثَبِّت أقدامها بالتمرين : فالموهبة بعد أن تُطِل برأسها فى سلوك المرء، فإنها تتأكد وتترسَّخ، فى

شخصيته، بمداومة التمرين على أداء ما يتعلق بها من ممارسات. فلا يكفى أن تظهر بوادر الموهبة فى سلوك المرء، بل يجب عليه أن يتَّبع نظامًا معيَّنا متواترًا، فتترسَّخ الموهبة فى سلوكه الشخصى.

ثالثًا - ضرورة توافر الإمكانات : ومن الشروط الضرورية لتجسيد الموهبة فى الواقع السلوكى للمرء، توافر الإمكانات، التى يمكن أن تتبدى الموهبة من خلالها. فبالنسبة لصاحب الموهبة الموسيقية، لا بد أن تتوافر لديه إحدى الآلات الموسيقية التى يتسنى له، أن يجسد موهبته عن طريقها.

رابعًا - تلقى التوجيهات السليمة : فالتربية تلعب دورًا أساسيًا فى تجسيد المواهب لدى الناشئة. ولكن ما يجب أن يقدمه المربى، هو الخطوط العريضة فحسب، بإزاء الأنشطة المتعلقة بالموهبة، وألا يكون تدخُّله فى التفاصيل التى تتباين من شخص لآخر، والتى تتفق مع مزاجه، وتوفر له الفرصة لما يختص به، ويبدع فى أدائه. وعلى المربى أن يبصر تلاميذه بالآفاق التى يمكن أن يجوبوها، لاستثمار مواهبهم، وأن يوفر لهم المناخ المناسب للاستكشاف بالمحاولة والخطأ، وملاءمة أمزجتهم وشخصياتهم مع المجالات التى يستثمرون فيها مواهبهم.

خامساً - اكتساب المهارات المتعلقة باستثمار الموهبة:

ولعل من أهم ما يجب على المرء اكتسابه، تلك المهارات الذهنية والوجدانية والأدائية والعلائقية، التى تمارس الموهبة من خلالها. والمهارات التى نقصدها، بمثابة مجموعة من العادات، التى يمارسها المرء بطريقة شبه لا شعورية، وتعتبر المهارات التى يعتاد المرء على ممارستها، الركيزة الخبرية التى تلعب الموهبة أدوارها على أساسها.

علاقة الموهبة بالخبرة :

وبعد أن قدمنا هذه النقاط الخمس، التى ترتكز الموهبة عليها، فإن علينا أن نلقى الضوء على العلاقة بين الموهبة والخبرة، فنجد أن هذه العلاقة تتبدى فيما يلى :

أولا - الخبرة العقلية والموهبة : فحتى يتسنى استثمار موهبة ما، فلا بد من استكشافها أولاً، وذلك إما عن طريق المقاييس والاختبارات النفسية التى تجرى فى معامل علم النفس، وإما أن تستكشف فى البوادر السلوكية التلقائية، وذلك فى ضوء اللعب وما يتبدى للعيان من ميول نحو نوعية نشاطية معيَّنة. وكلما استطاع المرء أن يُلِم بأنحاء الموهبة التى يحس أنه جُبِل عليها، وورثها عن أسلافه، وأن تعامله معها، سوف يتأتى عنه استيعاب كثير من أنحائها، فإن وقوفه عليها،

وحصوله على معرفة خصبة تتعلق بها، يعتبر أساسًا خبريًا ذهنيًا لا مناص عنه.

ثانيًا - الخبرة الوجدانية : وما نقصده بالخبرة الوجدانية، هو تبلور الوجدان حول الموهبة، وشعور المرء بأنه متعلق بها، وأنها من صميم كيانه، وأنه سوف يبلو بلاء حسنًا فى استثماره لها. وكلما شعر المرء بالتعلق العميق بالموهبة، التى يحس بأنها تعتمل بقوامه النفسى الداخلى، فإنه يكون قابلا لإحراز خبرات أكثر وأعمق بإزائها.

ثالثا - الخبرة الأدائية : وكلما قام المرء بتوظيف موهبته فى الواقع السلوكى الممارس والمؤدّى، وفق القواعد والأصول المرعية فى الأنشطة المتعلقة بموهبته، كان تجسيده لخبرته أكثر نجوعًا ورسوخًا فى قوامه الشخصى. ولكن يشترط لكى تظل الموهبة حية ونابضة بالحيوية والنشاط، دَأَب المرء على توظيفها، بغير انقطاع عن تلك الممارسة مدة طويلة.

رابعًا - توسيع نطاق الخبرة وتعميقها : وكلما استطاع المرء توسيع نطاق استثماره لمواهبه، وكلما تعمَّق فى ممارستها، فإن خبراته المتعلقة بها، تتأكد وتتعمق فى قوامه، وتثمر فى الواقع الخارجى أحسن استثمار. وبتعبير آخر، فإن

على المرء، أن يقوم بتقليب مهاراته المتعلقة بمواهبه على أوجهها، وأن يوظِّفها فى أكبر عدد من المواقف المتباينة، وأن يحسِّن باستمرار فى أدائها، فيضيف ما يجب أن يضيفه، ويحذف ما يجب أن يحذفه، حتى يُنقى استخداماته للموهبة، إلى أبعد حد ممكن.

خامساً - الإبداع والطابع الشخصى : ومن الأهمية بمكان، أن تصطبغ الخبرة المتعلقة بموهبة ما من المواهب الكثيرة والمتباينة، بالصبغة الشخصية الخاصة بالمرء صاحب الموهبة. أضف إلى هذا، أنه، كلما استطاع أن يبدع جديداً غير مسبوق، فى مجال الممارسات والتوظيفات التى يُقْدم عليها ويؤديها، كان استثماره لموهبته إذن أنجع وأفضل وأعمق. فيكون فريداً فى أدائه لها، وفى استثمارها.

الأخطاء التى قد يتعرض لها صاحب الموهبة :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، باستكشاف المزالق، التى يمكن أن يتردى فيها صاحب الموهبة، فنجد أنها يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - إهمال الموهبة وعدم استثمارها : فالكثير جداً من المواهب العظيمة، يهملها أصحابها، ولا يُقْدمون على استثمارها، فتضمحل وتذوَى. فالموهبة شأنها شأن الكائن

الحى، الذى يحتاج إلى التغذية المستمرة، والعناية به، حتى يظل حيًا. وكما أن الكائن الحى، لابد أن يتفاعل مع المواد الغذائية التى تصل إلى جهازه الهضمى، وإلا فإنه يتعرض للذبول ثم الموت، كذا فإن الموهبة، إذا لم تستثمر بالتفاعل مع الواقع الخارجى، فإن مآلها يكون الذبول والموت.

ثانياً - إساءة توظيف الموهبة : فالشخص الذى يستثمر مواهبه فى الممارسات المشينة، كشأن لاعب القمار الذى يستثمر موهبته الذهنية فى لعب القمار، إنما يكون بذلك قد انتحى منحى رديئًا، فى استثمار موهبته.

ثالثًا - ممارسة نشاط بلا رصيد من المواهب الشخصية : فلقد يعجب شخص بواحد من المشهورين، فيحاول تقليده فى النشاط الذى يمارسه ذلك الشخص المشهور، ولكن مهما استمر بدأب على تقليده، فإنه لا يتقدَّم خطوة واحدة إلى الأمام.

رابعًا - عدم توفير الإمكانات اللازمة لتوظيف الموهبة : فالشخص الذى يتحمس لاستثمار مواهبه المتوافرة لديه بالفعل، ولكنه لا يوفِّر الإمكانات اللازمة لاستثمارها، لا يتسنى له توظيفها بالطريقة السليمة. فلولا أن فان جوخ قد عثر بالمصادفة على عدد من أفرخ الورق الكبيرة، فى بيت أحد

أقـربائه. لما اسـتطاع أن يكتـشف مـوهبـتـه فى الرسم. أو أن يستثمرها. والكثير من الشباب الذين لديهم موهبة التأليف. لا يجـدون لديهم الإمكانات الـلازمـة لنشـر أفكارهم على الملأ. فيلوذون بالنكوص عن الكتابة، وبالتالى فإن موهبة التأليف تموت فى قوامهم الذهنى.

خـامسـاً - الانهـزام النفـسى أمـام سهام النقـد : ومـن المزالق التى يمكن أن يتـردى فيـهـا صـاحب الموهبـة، الشـعـور بالخوف النفسى، أمام ما يوجَّه إليه من نقد لاذع، أو من هزء وسخرية، أو من لا مبالاة من جانب المتعاملين معه. فيتوقف عن الاستمرار فى استثمار مواهبه، التى سرعان ما تنكمش وتموت.

وسائل توطيد العلاقة بين الموهبة والخبرة :

وعلينا بعد أن استـعـرضنا المزالق التى يمكن أن يتـردى فيـهـا صـاحب الموهبة بإزاء استثمارها خبريًا، أن نستـعـرض الوسائل الفعالة فى إقامة علاقات وطيدة بين الموهبة والخبرة، والوسائل هى :

أولاً - تجديد الأهداف باستمرار : فالواقع أن المواهب والخبرات، ليست أشياء كتلك الأقلام المرصوصة أمامى، بل هى عبارة عن عمليات مستمرة فى العمل، أو عمليات تميل

إلى الركود. فيكون مآلها الاختفاء والتلاشى. ولكى يتسنى للموهبة أن تتلبَّس بالخبرات المناسبة لها، فلا بد أن يقوم المرء بتجديد أهدافه المتعلقة بها باستمرار. صحيح أن من الممكن أن ينطوى المجال الواحد على أهداف كثيرة، فيحصُر المرء نفسه فى ذلك المجال، ولكن لابد أن يقوم بتجديد أهدافه باستمرار فى نطاق ذلك المجال الذى يستثمر مواهبه فيه. ولكن المهم، هو الاستمرار فى ترسُّم أهداف متجددة باستمرار، وعدم الانتقال من هدف إلى هدف آخر، قبل أن يحقق الهدف السابق الذى وضعه نصب عينيه لتحقيقه.

ثانيًا - تجديدوسائل العمل أو النشاط : وكما يعمد المرء إلى تجديد أهدافه، فإن عليه بالمثل، أن يستمر فى تجديد الوسائل التى يتذرَّع بها فى توظيف مواهبه، واكتساب الخبرات المتعلقة بها، كما يجب أن يراعى فيها أن تكون أكثر قابلية لتقديم ثمار أفضل من الثمار السابقة.

ثالثًا - اكتساب مهارات جديدة : ولا شك أيضًا، أن من يرغب فى استثمار ما ترسمه من أهداف لاكتساب الخبرات التى تسمح بهذا الاستثمار. فلا بد أن يكتسب المهارات التى تسمح له بأن يضطلع بذلك الاستثمار. فمن لديه موهبة الخطابة مثلاً، فلا بد أن يستعين بالمهارات المتعلقة بالنطق

السليم والحركات المتاسبة لاستثمار موهبته الخطابية، وأن يكتسب الخبرات التى تساعده على الإبانة. فى المواقف المتباينة.

رابعاً-تصحيح الأخطاء والتخلص من الانحرافات : فالواقع أن المرء فى أثناء عكوفه على استثمار مواهبه، واكتساب الخبرات التى تسمح له باستثمارها. تشوب محاولاته لاستثمارها بعض الأخطاء، أو الانحرافات عن الطرائق السليمة فى هذا الصدد. ومن ثم فإن عليه أن يراجع نفسه، وأن يستعرض ما سبق له استثماره من مواهب بروح النقد الموضوعية، فيتسنى له بهذا، أن يتخلص من العيوب والأخطاء التى انزلق إليها. وبالتالى فإن استثماره لمواهبه ولما اكتسبه من خبرات، يتحرر من القيود والانحرافات التى أصيبت به مكتسباته فى الاستثمار.

خامساً - الإفادة من تجارب الآخرين : فعلى الرغم من أن صاحب الموهبة، يجب ألا يكون مجرد ناقل أو مقلِّد لغيره من أصحاب المواهب المماثلة لمواهبه، فإن من الضرورى أن يستفيد من خبرات غيره، ولكن بحرية تامة فى الانتقاء من بين ما توصَّلوا إليه من نتائج تأتت لهم من استثمار مواهبهم، فيأخذ عنهم ما استعانوا به من خبرات فى استثمار

مواهبهم، ويضرب فى الطرق التى ضربوا فيها، ويستعين بالوسائل التى أخذت بأيديهم، وساعدتهم فى استثمار ما وهبوه من خبرات، وفى محاولاتهم لاكتساب الخبرات التى ساعدتهم فى استثمار مواهبهم.



الفصل الحادى عشر

الخبرة والنجاح فى الدراسة

عوامل النجاح فى الدراسة :

قبل أن نتناول العلاقة بين الخبرة والنجاح فى الدراسة، فإن علينا أن نلقى الضوء على العوامل أو الشروط الواجب توافرها فى طالب العلم، حتى يتسنى له أن يوفق فى دراسته، وينجح فى التحصيل المدرسى، والتفوّق فى الامتحانات، التى تقيس المستوى العلمى الذى بلغه. وهذه العوامل أو الشروط تتلخص فيما يأتى :

أولاً - التمتُّع بمستوى ذكاء فوق المتوسط وبقدرات خاصة مناسبة : فمن الأهمية بمكان، أن يكون طالب العلم مهيّأً بالوراثة بالاستعدادات العقلية المتعلقة بالذكاء والقدرات الخاصة، التى يتسنى عن طريق استثمارها، استيعاب ما يقوم بدراسته، من علم وأدب وفلسفة وتاريخ، وغير ذلك من مناهج دراسية.

ثانياً - المواظبة والاستمرارية : ومن الشروط الأساسية، التى يجب أن تتوافر فى طالب العلم، أن يواظب على التحصيل المعرفى، وأن يستمر فى طلب العلم، والاغتراف منه طوال حياته، وليس فقط وهو ملتحق بالدراسة الرسمية. فطالب العلم لابد أن يكون عاشقًا للمعرفة، ومتعلقا بها بكل جوارحه. فكما أنه يشتاق لتناول الطعام بانتظام، كذا فإنه يجب أن يشتاق لاغتراف المعرفة من مصادرها المتباينة، دون هجر أو انقطاع.

ثالثًا - الهضم والاستيعاب : فطالب العلم، يجب أن يكون تلقِّيه للمعرفة، مشتملاً على التفاعل مع المقومات المعرفية التى يحصِّلها من المصادر المعرفية المتباينة. فكما أن الطعام لا يكون ذا قيمة غذائية، إلا إذا هُضِم، واستوعبه جسم المرء، كذا فإن العلم، لا يكون ذا قيمة، إلا إذا هضمه العقل واستوعبه، وصار من نسيج قوامه المعرفى.

رابعًا - تنويع المصادر المعرفية : فكلما عمد طالب العلم إلى تنويع المصادر التى يستقى منها معرفته، فإنه يكون أكثر تَفَتُّحا لاستقبال الجديد من المعلومات، كما يكون خليقًا، بأن يكون متفتحًا على الواقع المحيط به، وأيضًا على الواقع البعيد عنه مكانًا وزمانًا. فطالب العلم، يجب أن يكون متقبلاً للمعرفة أيا كانت، وبغض النظر عن المصادر التى يستقى منها معرفته. فهو لا يقتصر على ما ورد بالكتب المقررة بالمدرسة أو المعهد

أو الكلية التى ينخرط فيها، بل يتّسع نطاق اطلاعه، فيمتد إلى كل ما يتسنى له الحصول عليه من معرفة، من أى مصدر كائنا ما كان.

خامساً - مواكبة التحصيل المعرفى بالتصدير المعرفى : فالمعرفة الحقة، ليست تلك المعرفة التى تستقبلها الذاكرة، وتحتفظ بها فى نطاقها، بل هى المعرفة التى يسقبلها المرء، ثم يقوم بصياغتها بأسلوبه الشخصى، بالطريقة التى يتذوّقها، وهى المعرفة التى يقوم بعد استقبالها بتصديرها، سواء قام بنشرها على الملأ، أم يكتفى بالاحتفاظ بما قام بتلخيصه، أو صياغته بطريقته الخاصة، فالواقع أن الهضم الحقيقى، لما يقوم المرء بتحصيله، لا يتأتى له، إلا إذا قام بهذه العملية التصديرية، التى يمثّل الاستقبال المعرفى قطبها الأول، بينما يمثل التصدير قطبها الآخر.

سادساً - الاستفادة من خبرات الآخرين فى مجال الدراسة : فمن الخصائص الأساسية التى ينبغى أن يتصف بها طالب العلم، التأسّى بالمثل العليا، التى تؤثر فى شخصيته من الناحية العملية. فلا شك أن هذا التأسّى، يحمل طالب العلم، على أن يقفُوَ قَفْو من يعجب بهم، بإزاء المنهج الذهنى الذى ينقله عنهم، وبإزاء نهْج حياتهم الثقافية، الذى ضربوا فى إثره. فلا شك أن ما يستقبله طالب العلم من إيحاءات، تَصْدر إليه تلقائيا من مثله العليا، وتقليدهم فيما ضربوا فى إثره، من

طرائق فى التفكير وفى التعبير، وما استعانوا به من وسائل فى تحصيل العلم، لما يعمل على تفتيق مواهبه، وحفزه على السير قُدُمًا نحو آفاق أرحب وأوسع، لشق الطريق نحو معرفة مكينة، والارتقاء إلى مستوى علم أرفع وأعمق.

علاقة النجاح الدراسى بالخبرات التربوية :

وبعد أن استعرضنا هذه الخصائص الخمس، التى ينبغى أن يتصف بها طالب العلم، فإن علينا أن نُلْقى الضوء، على علاقة النجاح، الذى يُمْكن أن يحرزه طالب العلم، بالخبرات التى يكتسبها، فنجد أن هذه العلاقة تتمثل فيما يلى :

أولاً - التفاعل الخِبرى : فالنجاح الحقيقى، الذى يمكن أن يحظى به طالب العلم، لا يتأتى له نتيجة شحن ذاكرته بالمعلومات، التى تتضمنها المقررات الدراسية، بل يتأتى له إذا ما استطاع، أن ينخرط فى سلسلة من التفاعلات الخبرية، التى تشبه التفاعلات الكيميائية، بين ما يقوم بالاطلاع عليه من معرفة، وبين قوامه الخبرى. فكل تفاعل خِبْرى جديد، يجب أن يتم بين الخبرة الجديدة، وبين آخر مستوى خبرى توصل إليه.

ثانيًا - التمكُّن من وسائل الاطلاع والبحث : فحتى يتسنى لطالب العلم، أن يكون خليقًا باكتساب الخبرات

العلميـة، التى تتضـمنهـا مصـادر المعرفة العلميـة، فـإن عليـه أن يتمـرس، وأن يتـمكن مـن فنون الاطلاع والبـحث والتنقـيب عن المعلومـات، وأن يكون مـتـمـرسًا ومـتـمكنا أيضًا، من انتـقـاء المعـرفـة، أو المعلومـة التى يجب عليـه الحـصـول عليـهـا، ومن تفهُّمهـا وهضـمهـا. وبتعـبيـر آخـر، فإن طالب العلم الناجح، هو الذى يسـتطيع أن يميِّز بين الأهم والمهم، وأن يكون قـادرًا على ترتيب الأولويات، وأن يهتم بالخطوط العريضة فى كل موضوع يتناوله بالدراسـة، وألا يَغْرق فى التفاصيل، ويُهمل الأساسيات فيه.

ثالثًا- التـمكن من الفنيـات المتـعلقـة بالاسـتـقـبـال والتصدير المعرفى : فطالب العلم الناجح، هو الذى يتـمكَّن من استـخدام الأدوات، التى يمكن أن تسـاعده على التلقِّى المعرفى، وعلى التصدير المعرفى. ففـى عصـر الكومبيوتر والإنترنت، فإن على طالب العلم، أن يسـتفيد منهمـا، وأن يوظفـهمـا فيما يتعلق باستقبـال المعـرفة وتصـديرهـا. وبتعـبيـر آخـر فإن ثمة تدريبـات معيَّنة، ومهارات أدائية، يجب أن يكتسبهـا طالب العلم، بحيث يتسنى له اختصار الوقت، وتوفير الجهد، اللذين كان السابقون يقضونهما فى الدراسـة والكتـابة. فمن المعروف أن اسـتخدام الكومبيوتر فى الكتـابة، أسهل وأسرع، إذا ما تدرب المرء على استخدامـه بالطريقة السليمة، أعنى بطريقة اللمس واستخدام أصابعه العشرة.

رابعًا - المراجعة لتثبيت المعرفة : فالواقع أن الذاكرة. تحفتظ ببعض ما يصل إليها من أفكار ومعارف، بينما تفقد جانبًا مما سبق لها اختزانه. ومن ثم، فإن على طالب العلم أن يسترجع، ما فقدته ذاكرته، وذلك بالمراجعة المستمرة. ناهيك عن مراجعة ما قام بتدوينه، حتى يتسنى له التنقيح والتصويب، والإضافة والحذف، مما قام بكتابته وتصديره من معرفة.

خامسًا - ضرورة توافر الصبغة الشخصية : فعلى الرغم، من أن هناك معارف وعلومًا موضوعية، متجردة من الصبغات الشخصية، لأولئك الذين ساهموا فيها، فإن من واجب المرء، أن يكون له شخصية مستقلة، وصبغة فكرية، خاصة به، تُميزه من غيره من أشخاص. فعلى الرغم من أن طلاب العلم، يشتركون جميعًا، فى خصائص مشتركة فيما بينهم، فإن من الواجب، أن تكون لكل منهم، خصائص شخصية فريدة، وألا يكون مجرد نسخة مكررة من غيره، فهو فى أثناء دراسته، تهبط على ذهنه أفكار وأساليب وطرائق جديدة، سواء بإزاء الاستقبال العلمى، أم بإزاء التصدير العلمى.

الأخطاء التى يقع فيها بعض الطلبة :

وعلينا أن نستعرض بعد هذا، الأخطاء التى يتعرض لها بعض الطلبة، فتشكل عائقًا أمامهم، بإزاء التقدم العلمى، يمكن أن تتحدَّد على النحو التالى :

أولاً – تفضيل الرغبات على الحاجات : فبعض الطلبة، ينفرون من بعض المواد الدراسية، لأنهم لا يحبونها، بينما يُقبلون على ما يجدون فى أنفسهم رغبة، فى تعلمه. ولكن من الواجب، أن يتقبل المرء ما يحبه، ويميل إليه من جهة، وما ينفر منه، ولا يرغب فى دراسته من جهة أخرى. فالكثير مما لا يرغب بعض الطلبة فى دراسته، يكون من الأهمية بمكان. فمثلاً نجد أن بعض الطلبة لا يحبون استظهار النصوص الأدبية، ولكن الواقع أن هذا الاستظهار، يعمل على تقويم ألسنتهم، كما يساعدهم على التعبير عن أفكارهم بسهولة ويسر. فعليهم إذن، أن يجتهدوا فى استظهار تلك النصوص، واعتبارها كالدواء المر، الذى بدونه، لا تُكْفل الصحة للمرء.

ثانياً – النفس القصيرة فى الاستذكار : وبعض الطلبة، لا يعطون للاستذكار حقه من الوقت. فبعد فترة قصيرة، يتوقفون عن مواصلة الاستذكار، وعن القيام بعمل الواجبات المنزلية، التى عليهم أن ينفذوها بالبيت. ومن ثمَّ فإن زملاءهم يتفوقون عليهم، بينما يصيبهم الفشل، وقد ينتهى الأمر بهم إلى رسوبهم، فى آخر العام الدراسى.

ثالثاً – اتباع طريقة خاطئة فى الاستذكار : فبعض الطلبة، يستذكرون بطريقة غير صائبة. فما يجب أن يحفظ، يكتفون بقراءته، وما يجب أن يقرأ بصوت مسموع، يقرءونه بتمرير أعينهم عليه، وما يجب أن يتمرنوا عليه، يكتفون

بفهمه. وما يجب أن يتواكب التلخيص فى أثناء استذكاره بواسطة القلم والورق، مع حفظ النقاط الأساسية التى يتضمنها، يكتفون بقراءته بسرعة، أو يغوصون فى أعماق التفاصيل، ويَسْهون عن حفظ النقاط الأساسية فى الموضوع الذى يستذكرونه. إلى آخر تلك الطرائق الخاطئة فى الاستذكار.

رابعًا - التفكُّك الخبرى : فمن المفروض أن تكون الخبرات المعرفية، مترابطة بعضها مع بعض، بل وتُشَكِّل وحدة متكاملة فى عقل الطالب. ولكن الواقع أن بعض الطلبة، يشحنون ذاكرتهم بالمعلومات المفككة بعضها عن بعض، وغير المترابطة بعضها مع بعض. وبالتالى فإنهم لا يستطيعون أن يستوعبوا المعلومات بطريقة جيدة. ولا شك أن التفكُّك الخبرى، لا يسمح بالإفادة منها، فى مستقبل الأيام. كما أنه لا يسمح بتكوين قاعدة علمية، فى شخصية المرء، تتبنى عليها الخبرات العلمية التالية، لدى الصعود إلى المستويات العلمية الأعلى.

خامسًا - الاقتصار على الملخَّصات : فبعض الطلبة، يكتفون باستذكار ما ورد بالكتب الخارجية، التى لا تعدو عن أن تكون كتبًا مساعدة للكتاب المقرر. فهم يكتفون باستظهار النقاط الرئيسية، فى كل موضوع، يَعْرِض له الكتاب الخارجى. ومن ثمَّ فإنهم لا يتمكنون من الإلمام بالموضوعات المقررة إلمامًا

تفصيليًا، وبالتالى فإنهم لا يستفيدون علميًا بشكل كامل متكامل، ويفوّتون على أنفسهم، الإفادة من لُبٍّ وجوهر المعلومات، التى يعرض لها الكتاب المقرر، الذى قام بتأليفه مختصون، وبذلوا فى تأليفه الجهد، الذى يضيع بين أيدى هذه الفئة من الطلاب، الذين يحتقرون الكتاب المقرر، ويكتفون بالكتاب الخارجى فحسب.

مسئولية رجال التربية :

ولكى يتسنى ترشيد الطلاب، وتقويم طرائقهم التى يتبعونها فى الاستذكار، فإن ثمة مجموعة من الوسائل، التى ينبغى أن يضطلع بها رجال التربية، حتى يوفروا على تلاميذهم وطلبتهم التخبُّط بين طرائق خاطئة فى مشوارهم الدراسى، لعلنا نقوم باستعراضها فيما يلى :

أولاً - ضرورة وجود موجِّه تربوى بكل مدرسة أو معهد أو كلية : فثمة مشكلات دراسية كثيرة، يمكن أن تعترض طريق بعض التلاميذ والطلاب، سواء بإزاء تلقيهم العلم بالمدرسة أو المعهدأو الكلية، أم فى استذكارهم بالبيت، فلا يجدون من يقوم بتبصيرهم وتوجيههم، إلى أحسن الطرائق لحل تلك المشكلات. فمن الممكن أن يُعيَّن بكل مؤسسة تعليمية، خبير فى علم النفس والتربية، يساهم فى تذليل الصعاب أمام من

يلجأ إليه من التلاميذ أو الطلبة، لمساعدته فى تذليل ما يصادفه من مشكلات، وبإزاء الطرائق التى يجب أن ينهجها، حتى لا يتعثر فى دراسته.

ثانياً - مسئولية وسائل الإعلام : فمن الممكن أن تساهم وسائل الإعلام، وبخاصة الإذاعة والتلفزيون، فى حل مشكلات الاستذكار، وذلك بعقد الندوات والمناقشات، التى يشترك فيها التلاميذ والطلبة أنفسهم، فَيَعرضون ما يصادفونه من مشكلات دراسية، سواء بالمدرسة أم بالمعهد أم بالكلية، والتوصُّل فى سياق المناقشات إلى الحلول الناجعة بصددها.

ثالثاً - ترشيد وسائل التقييم : فمن الخطأ أن يتركز تقييم ا لتلميذ أو الطالب، فى امتحان واحد هو امتحان آخر العام، بل الواجب أن يكون التقييم، موزَّعًا على أشهر العام الدراسى، بحيث يستقل كل شهر، عن الشهور التالية، وعن الشهور السابقة. وبالتالى يجب أن يقسَّم المقرر الدراسى إلى أقسام بعدد أشهر العام الدراسى. ومن يرسب فى امتحان شهر ما، يتوجب عليه أن يلتحق بفصول التقوية، التى تعمل بعد الظهر فى كل مدرسة أو معهد أو كلية.



الفصل الثانى عشر

الخبرة والنجاح فى العمل

عوامل النجاح فى العمل :

يعتمد النجاح فى العمل على مجموعة من العوامل التى نستطيع تقديمها على النحو التالى :

أولاً - استيعاب الممارسات التى يتضمنها العمل، والتمكن من مزاولتها : الواقع أن كل عمل يتضمن مجموعة من الممارسات، أو الأعمال الفرعية، التى لابد للعامل أو الموظف من التمكن منها، وتفهمها، وتطبيقها بكفاءة. وقد يتطلب منه ذلك أن يحضر بعض التدريبات، حتى يتقن استخدام بعض الأدوات أو الأجهزة أو الآلات، أو ليتشرب بعض المهارات، ويتبع نوعًا معيَّنًا من الروتين، أو غير ذلك من ممارسات.

ثانيًا - الإيمان والاقتناع بقيمة العمل : فكلما كان المرء متحمسًا للعمل الذى ينهض به، ويؤمن بأهميته وقيمته،

ويحس بأن المجتمع يقدِّره حق قدره، ويوليه اهتمامه. فإنه يكون أكثر نجاحًا فى ممارسته، والاضطلاع بالمهام المنوطة به. ومن ثم فإنه يبذل أقصى ما لديه من طاقة، ويستثمر فيه جهده ووقته بأحسن مستوى من الاستثمار.

ثالثًا - التكيف والتعاون مع المشتركين معه فى العمل : فكلما كان المرء متكيفًا مع طبيعة العمل، ومتعاونًا مع المشتركين معه فى إنجازه، فإن النجاح يكون إذن حليفه، ويحتل مكانة مرموقة بين زملائه ورؤسائه ومرءوسيه. أما التكيف الذى نقصده، فهو اتخاذ المواقف الإيجابية، فلا يكون العامل أوالموظف مصدر تعويق للأداء، أو مناوئًا لزملائه، أو عاصيًا لرؤسائه، أو مستبدًا بمرءوسيه.

رابعًا - التطور الفكرى والمهارى مع تطور العمل : فالواقع أن الأعمال لا تسير وَفْق نمطية جامدة، بل تتطور باستمرار، مع المطالب الحضارية المتدفقة باستمرار. فكلما استطاع العامل أو الموظف ملاحقة تلك التطورات، التى تدخل فى نطاق العمل، واستوعبها وسيطر عليها، فإنه يكون بذلك ناجحًا فى ممارسة ذلك العمل المسند إليه، ويبلو فيه بلاء حسنًا.

خامسًا - ترسُّم أهداف العمل ككل : فثمة أهداف كلية، وأهداف أخرى جزئية تستهدفها الأعمال التى تسند إلى العاملين بأى مؤسسة. فلكى يكون العامل أو الموظف ناجحًا

فى ممارســة عــمله، فــلا بد أن يكون مُلِمًا به ومــؤمنًا ومتحمسًا لتحقيق الأهداف الكلية، التى تتوخاها المؤسسة التى يعمل بها ككل، كما يكون متحمّسًا أيضًا لتحقيق الأهداف الجزئية الخاصة بالنطاق الموكل إليه من العمل الكلى.

علاقة العمل باكتساب الخبرة :

وعلينا بعد هذا أن نلقى الضوء، على العلاقة بين العمل واكتساب الخبرة، فنجد أن هذه العلاقة يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - تفاعل النظريات مع التطبيقات : فالواقع أنه فى ظل التطورات الحضارية المتدفقة والمعقدة، فإن الغالبية العظمى من الأعمال، بحاجة إلى إعداد نظرى قبل القيام بها، وقبل التدرب على ممارستها. فالتكنولوجيات المتباينة، يجب ألا تمارس، إلا بعد أن يكون المرء، قد ألمَّ بالأسس العلمية التى تقوم عليها. ولكن يجب ألا تمر فترة طويلة بين تلقى النظريات، وبين القيام بالتطبيقات المتعلقة بها. وبتعبير آخر فمن الواجب أن تتفاعل النظريات والتطبيقات فى ذهن العامل أو الموظف، وفى قوامه الخبرى، حتى يتسنى أن يكون كفئًا فى ممارسة العمل.

ثانيًا - ترتيب الأولويات الخبرية : فمن الواجب أن يسير اكتساب الخبرات حسب الترتيب الذى يُتبع فى

التدرب على اكتسابها. فمن الخطأ أن تسبق خبرة خبرة أخرى، كان يجب أن تتلوها فى ترتيب الخبرات التى ينبغى اكتسابها.

ثالثًا - تجديد الخبرات المكتسبة : فمن الحقائق التى ينبغى أن نضعها نُصْب أعيننا، أن الخبرة إذا لم تتجدَّد، فإنها تضمر وتضمحل إلى أن تذوى. من هنا، فلا بد أن يدأب العامل أو الموظف باستمرار، على تجديد خبراته، حتى تتجدَّد قدرته على الإنتاج، وعلى التقدُّم فى مضمار عمله.

رابعًا - الخبرات العلائقية : ومن الأهمية بمكان، بالنسبة للعامل والموظف، أن يدأب على تحسين علاقاته بمن يعمل معهم باستمرار، وأن يكتسب فنون التعامل بنجاح مع الزملاء والرؤساء والمرءوسين. ولا شك أن التعامل مع الآخرين، يمكن أن يتحسن، إذا ما عمد المرء إلى حذف ما لالزوم له من سلوكه، وأن يضيف الناقص منه. فكلما استطاع العامل أو الموظف اتباع سياسة الاقتصاد السلوكى فى تعامله مع العاملين أو الموظفين الذين يشتغل معهم، فإنه يكون بذلك ناجحًا فى علاقاته الاجتماعية فى عمله، كما أنه يحظى بالسمعة الطيبة بين العاملين معه.

خامسًا - الثواب والعقاب : ومما لا شك فيه أن عوامل الإفادة من الخبرات التى يكتسبها العامل أو الموظف، ما يتأتى له مما يوقع عليه من عقاب، وأيضًا مما يناله من ثواب، يتمثل

فيما يحظى به من مكافآت وترقيات. فالعقوبة والمكافأة تعتبران من العوامل الفعالة، فى كسب الخبرات المفيدة فى السلوك، ولكن بشرط أن يكون الرئيس الذى يقدِّم المكافأة أو يوقع العقوبة، حكيمًا ومتمكنا من أصول التعامل مع مرءوسيه، وواقفا على نفسية من تمنح له المكافأة، ومن توقع عليه العقوبة.

العوامل التى تعطل نجاح العامل أو الموظف فى عمله :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، بإلقاء الضوء على العوامل التى تحُول دون نجاح العامل أو الموظف فى عمله، فنجد أن تلك العوامل يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - عدم تمكُّن العامل أو الموظف من فنيات العمل : فمن الواضح أن العامل أو الموظف الذى لا يجيد ممارسة العمل المسند إليه، يحس فى قرارة نفسه بأنه لا يصلح للنهوض بالمسؤليات التى أنيطت به، فيفقد ثقته فى نفسه، وقلما يعترف بعدم لياقته للوظيفة الى يشغلها، بل يعزو عثراته فى العمل، إلى أسباب أخرى غير عجزه عن القيام بما أسند إليه من مسئوليات.

ثانيًا - تثبيط الهمة، والفت فى العَضُد : فالعامل أو الموظف الذى يحس بأنه شخصية غير مرغوب فيها، إذ إن

زملاءه يتغامزون عليه، كما أن رؤساءه يستهزئون به، ولا يقابل بالاحترام من جانب مرءوسيه، فإنه ينفر من العمل، ويكره الانتظام عليه، فيحتج بالمرض لكى ينقطع عن الحضور، أو يتشاجر مع زملائه ورؤسائه ومرءوسيه، فيحَال إلى التحقيق من وقت لآخر، إلى أن يستقيل، أو يفصل من العمل.

ثالثًا - عدم تمشى العمل أو الوظيفة مع استعدادات العامل أو الموظف : فلقد يكون من أسباب تعثر العامل أو الموظف فى أداء العمل، عدم لياقته جسميًا أو عقليا أو وجدانيا، للنهوض بما يسند إليه من مسئوليات، فتكون النتيجة الحتمية لذلك، هى الفشل فى أداء المهام الموكولة إليه.

رابعًا - تخطى العامل أو الموظف فى الترقية : فلقد يكون من أسباب فشل العامل أو الموظف فى أداء عمله، راجعًا إلى ما يلقاه من اضطهاد، أو ما يوقع عليه من جزاءات ظلمًا وبهتانًا، أو بسبب تلفيق التهم له، حتى ييأس، فيستقيل من عمله. وقد تكون النية مبيتة لتعيين أحد أقرباء المدير محله، إذا ما استقال من وظيفته.

خامسًا - إحساس الموظف بأن ما يقوم به من عمل أقل من مستوى مؤهله أو كفاءته : فلقد يحصل العامل أو الموظف فى أثناء خدمته على مؤهل عال، أو على تخصص دقيق، بينما يسند إليه من الأعمال، ما لا يرقى إلى مستواه.

ولا يتناسب مع مؤهله العالى أو تخصصه الممتاز، فتكون نتيجة ذلك، إهماله بصدد المسئوليات المنوطة به.

كيف يستفيد العامل أو الموظف من الخبرات المتاحة ؟ :

وعلينا أن نقوم بعد هذا بتقديم بعض المقترحات، التى من شأنها أن تعمل على إفادة العمال والموظفين من الخبرات التى تتاح لهم :

أولاً - تعيين الموظف المناسب فى المكان المناسب : فليس المهم، هو شغل الوظائف الخالية بأى شخص كائنًا من كان، بل المهم أن يكون الشخص الذى يعين فى الوظيفة الشاغرة مناسبًا لها . فيراعى ما حصل عليه من مؤهلات أوخبرات يكون قد اكتسبها قبل تعيينه.

ثانياً - الربط الكامل فيما بين المؤسسات وبين المدارس والمعاهد والكليات : ومعنى هذا أن من الواجب تفصيل المناهج أو المقررات الدراسية، فى ضوء مطالب السوق، وألا تكون المؤسسات فى وادٍ، والتعليم فى واد آخر. فمن الملاحظ أن الكثير من المناهج المقررة بالمستويات التعليمية المتباينة، لا يَمُت بأى صلة بالحياة. فالمطلوب أن ينظر إلي المدارس والمعاهد والكليات، باعتبارها مؤسسات تخدم سوق العمالة، وأن تتنازل تمامًا عن شعار **العلم للعلم**، وأن تُحِل محله شعارًا آخر هو **العلم للعمل**.

ثالثًا - إنشاء معهد تدريبى بكل مؤسسة : فالواقع أن الحياة العصرية، تتسم بتدفق التكنولوجيات باستمرار فى مجالات العمل فى نطاقها، وهذا يستلزم قيام كل مؤسسة بإنشاء معهد تدريبى خاص بها، حتى يتسنى لها إعداد كادرات جديدة، من المتمرِّسين بالتكنولوجيات، التى تتدفق فى السوق باستمرار. وبذا تظل مؤسسات العمل فى حالة تطور مستمر، ولا تتخلف عن ركب الحياة، كما هو حادث الآن فى الكثير من المؤسسات.

رابعًا - الإفادة من خبرات الدول المتقدمة : فالواقع أن جميع المؤسسات الموجودة عندنا، توجد مثيلات لها بالدول المتقدمة. فليس هناك ما يمنع إذن من الإفادة من خبرات تلك المؤسسات، وذلك بإرسال البعثات المستمرة إليها، وتبادل الزيارات الطويلة معها. فنستقبل نحن بعضًا من موظفى تلك المؤسسات القائمة بالبلاد المتقدمة، كما نرسل إليها بعثات مماثلة. وبهذا تقل تكاليف استيراد الخبرات، ونستفيد من خبرات غيرنا، كما نقدم فى الوقت نفسه خبراتنا إليهم.

خامسًا - تشجيع المتفوقين والمبدعين من العمال والموظفين : ومن أهم الوسائل التى تعمل على الإفادة من الخبرات، تشجيع العامل أو الموظف، الذى يُبْدى تفوُّقًا أو إبداعًا فى عمله، وأيضًا تشجيع من يستفيد من التدريبات

التى يحضرها بمؤسسته. ولا يكون المعول على ما حصل عليه العامل أو الموظف من المؤهلات فحسب، بل يكون المعوَّل الرئيس، على ما يبديه من تفوُّق فى عمله، وما يقدِّمه من إبداعات، تفضى إلى تطوير النظام، الذى يسير العمل بمقتضاه.



الفصل الثالث عشر

الخبرة فى الزواج والحياة الأسرية

أهمية الزواج والحياة الأسرية :

لا نغالى إذا ما قلنا، إن الزواج والحياة الأسرية، هما أهم شىء فى حياة الإنسان، ويشكلان الركيزة الرئيسية فى علاقاته الاجتماعية، وترجع هذه الأهمية إلى ما يأتى :

أولاً - أهمية غريزية : ففى قوام الإنسان غريزة جنسية تدفع به إلى التزاوج والإنجاب، وإلى تكوين أسرة تجمع بينه وبين شخص من أفراد الجنس الآخر. فالجنس شأنه شأن الطعام. فبالطعام يستمر الأفراد على قيد الحياة، وبالزواج يستمر الجنس البشرى على قيد الحياة، عبر الأجيال المتعاقبة.

ثانياً - أهمية وجدانية : فالإنسان بحاجة إلى الإحساس بالأمن من جهة، وبالانتماء من جهة أخرى. فاتحاد

الرجل بالمرأة، والمرأةبالرجل، بحيث يصيران بمثابة شخص واحد، يعمل على دَعْمهما بالقوة، نتيجة اتحادهما بعضهما ببعض، فيحس كل منهما بالأمن فى كَنَف الطرف الآخر من جهة، وبالانتماء الواحد منهما للآخر من جهة أخرى. ناهيك عن الانتماء الجديد الذى يحس به كل منهما، إلى أسرة شريك الحياة، أعنى أسرة الزوج بالنسبة للزوجة، وأسرة الزوجة بالنسبة للزوج.

ثالثًا - أهمية تربوية : فالواقع أن التربية، يجب ألا تنحصر فى نطاق ما يطبقه الوالدان من مواقف تربوية بإزاء أبنائهما، بل يجب أن يمتد تأثيرهما التربوى ليشمل الوالدين والأولاد جميعًا. فكل فرد فى الأسرة، يؤثر، بطريق أو آخر، فى باقى أفراد الأسرة. وبهذا المعنى، نستطيع أن نقول، إن الأسرة تُشكِّل مؤسسة تربوية، تعمل على تعديل سلوك كل واحد من أفرادها، بشرط أن تكون الأسرة مؤتلفة بعضها مع بعض، وأن يتعاطف كل فرد منها مع باقى الأفراد الآخرين الموجودين فى نطاقها.

رابعًا - أهمية اقتصادية : ولا شك أن الأسرة، تُشكَل كيانا اقتصاديا. فهى كمؤسسة اجتماعية، لها دخل من جهة، ولها مُنصرف من جهة أخرى. وكلما كانت الأسرة متآزرة

بعضها مع بعض، فإنها تكون بالتالى مؤسسة ناجحة من الناحية الاقتصادية. إذ إنها تتآزر وتتعاون، بحيث لا تكون بحاجة إلى مد اليد إلى غيرها من أسر، بل تضع الخطة المحكمة، التى تعمل على جعل الدخل أكثر من المنصرف، فتكون هناك مدخرات فائضة عن حاجتها، حتى لا تكون تحت رحمة الطوارئ المفاجئة.

خامساً - أهمية تكاملية : فالأسرة المترابطة، التى قامت على أسس متينة، يكمل كل واحد من أفرادها باقى الأفراد، ويساند القوى منهم، من هو أضعف منه، ويقوّم الواحد فيها سلوك الآخرين، الذين بحاجة إلى تقويم وتعديل. وبتعبير آخر فإن الأسرة السوية، بمثابة الكائن الحى الواحد الذى يساند كل عضو به الأعضاء الآخرين، ويذُب عنه، كل ما يمكن أن يؤذيه، ويُكمل ما به من نقص، ويقوم بنجدته إذا استغاث، ويدفع عنه أى خطر أو ضرر.

علاقة الخبرة بالزواج الناجح :

ولعلنا نقوم بعد هذا بإلقاء الضوء عى العلاقة، بين الخبرة وبين الزواج الناجح، وبينه وبين الأسرة المستقرة، فنجد أن هذه العلاقة تتبدى فيما يلى :

أولاً - النضج الخبرى : فمن الحقائق الراسخة، أن المراحل العمرية بدءًا بالطفولة، ومرورًا بالمراهقة وما بعدها، هى مراحل تَلَقى الخبرات المختلفة، التى تعمل على الوصول بالشخصية إلى مستوى النضج، الذى يؤهل المرء لتحمل مسئوليات الزواج، والقدرة على وزن الأموال بميزانها الصحيح ، والعمل على حل المشكلات التى تجابه الأسرة التى ينشئها الرجل والمرأة معا بفكر راجح، واتزان عقلى ووجدانى وإرادى متآزر. ومن الحقائق الثابتة، أن الزواج المبكر، برغم احتمال نجاحه جنسيا، فإنه لا يكون ناجحًا فى الغالب من الناحية النفسية، ومن الناحية الاجتماعية، ومن الناحية الاقتصادية.

ثانيًا - الخبرة الثقافية : من المعروف أن الحضارة قد تواكبت مع الخبرات الثقافية. وكلما تعقدت الحضارة، وتقدمت حثيثا إلى الأمام، فإن المستلزمات التعليمية، تزداد أهمية، لكى يتسنى للمرء أن يَشُق طريقه بنجاح فى الحياة. فلم يَعُد الشاب والشابة معتمدين على ثروة الأسرة، لإنشاء سرة جديدة، تقيم فى نطاق الأسرة الأم، بل صار من المحتم فى الغالب، أن يتخرج الشاب، وأن تتخرج الشابة، فى مدرسة أو معهد أو كلية، ويلتحقا بعمل ما، حتى يتسنى لهما أن

يدخـرا المال الكافى لإنشـاء أسـرة جـديدة، وأن ينفـقـا عليـهـا.
وبهذه المناسـبة نقـول إن مفـهـوم الثـقـافـة، لا يـنحـصـر فى نطاق المعـرفة، بل يمتـد ليشمل إلى جانب المعـرفة مـا يتعلق بالاتزان والنضج الوجدانى، واسـتقـلال الإرادة، والاعتـمـاد على النفس، وأيضًا التـمـتع بالبصـيـرة النافذة فى شـئون الحيـاة، وبضـمنهـا الشـؤن الاقـتصـادية. فـالزوج والزوجـة المثـقـفـان، يكونان خليقين بتدبير أمور أسرتهما الاقتصادية، بحكمة وحصافة.

ثالثا - الخبـرة النفسيـة : فحـتى بغيـر الانكبـاب، على دراسة سيكلوجية متخصصة، فإن الشخصية السوية، تحصل على ثقـافـة نفـسيــة عن طريق التـعـامل المبـاشـر مـع الآخـرين. والواقـع أنـه بعــد الـزواج، بل وخـــلال فـــتـــرة الخـطـوبة، فـــإن الطرفين، أى الخطيب وخطيبته، اللذين يصيـران زوجًا وزوجة، يتكيفان الواحد منهما مع الآخر، ويقف كل منهما على المفتاح النفـسى لرفـيق عـمـره، بحـيث يكتـسـبـان مـهـارة فى التـعـامل النفسى، لا فى نطاقهما فحسب، بل يستفيدان من هذه المهارة السـيكلوجـيـة أيضًا، فى تربيـة أولادهـمـا، وفى التـعـامل مع الأقرباء والجيران أيضًا.

رابعاً - الخبرة المستقبلية : ومن الخبرات الهامة، التى تعـمل على نجـاح الزواج، والحيـاة الأسـرية، مـا يمكن أن نطلق

عليه اسم الخبرة المستقبلية. فثمة ثلاثة أضلاع للزمان، هى ضلع الماضى من جهة، وضلع الحاضر من جهة ثانية، وضلع المستقبل من جهة ثالثة. والشخص المتمتع بالخبرة المتكاملة. هو ذاك الذى يكتسب الخبرة. بإزاء هذه الأضلاع الثلاثة، ولا يكتفى باكتساب الخبرة بإزاء ضلع واحد أو ضلعين فحسب. والواقع أن من يكتسب ضلع الخبرة المستقبلية، يستشرف المستقبل، كما لو أنه حاضر أمامه، فيرتب له، ويخطط لما سوف يبين عنه، بأكبر قدر من الدقة الممكنة، ولسوف تعالج هذا النوع من الخبرة المستقبلية بشىء من التفصيل، فى الموضوع التالى والأخير من هذا الكتاب بإذن الله.

خامساً - خبرات الماضى والحاضر : وبالنسبة لخبرات الماضى، فإن الزوجين يستفيدان مما سبق لهما أن اكتسباه منها، منذ طفولة كل منهما، وعبّر مراحل العمر التالية. فالزوج أو الزوجة اللذان عانيا من قهر وقسوة الوالد أو الوالدة عليهما، يعمدان فى ضوء خبراتهما المؤلمة التى أعاقت ما كان يمكن أن يسعدهما فى الطفوله والمراهقة، إلى التخفيف من توقيع العقوبات القاسية على أولادهما. وكذا فإن النزاعات والشجارات التى كانت تقع بين والدى كل منهما، يتفهمان ما كانت تنشأ بسببه من أسباب، فيتحاشانها. وإذا كان والد الزوج من مدمنى التدخين، وكان التدخين يسبب لأسرته

المتاعب الصحية والمالية، فإن الزواج لا يقترب من هذا الداء الوبيل. وقل الشيء نفسه بإزاء جميع الخبرات التى اكتسبها الزوج والزوجة منذ الطفولة، وعَبْر مراحل عمرهما، وما مر بهما من ظروف مختلفة. ناهيك عن خبرات الحاضر التى يكتسبانها من المواقف التى يمرّان بها، سواء فى علاقتهما بعضهما ببعض، أم فى علاقتهما بأولادهما، أم فى علاقتهما بأقربائهما وأنسبائهما وجيرانهما ومعارفهما.

الخبرات الرديئة فى الزواج :

وعلينا بعد هذا، أن نلقى الضوء على العيوب الخبرية، التى يمكن أن تعرض لشخصية الزوج، أو الزوجة، فنجد أنها يمكن إن تلخص فيما يلى :

أولاً - الانحرافات الجنسية : فالانحرافات الجنسية كممارسة الاستمناء أو العادة السرية، وأيضًا اللواط بالنسبة للذكور، والسحاق بالنسبة للإناث، إنما هى عبارة عن خبرات جنسية منحرفة عن الجادة. فالزوج أو الزوجة اللذان اكتسبا عادات جنسية رديئة ومنحرفة عن السوية، خلال حياتهما، بدءًا من الطفولة وعَبْر المراهقة والشباب، لا يتسنى لهما انتهاج حياة جنسية سوية فى الزواج. ولعلنا لا نبالغ إذا ما

قلنا إن نسبة كبيرة من حالات الطلاق، تعود إلى ما اكتسبه الزوجان، أو أحدهما من خبرات منحرفة جنسيًا قبل الزواج.

ثانيًا - الغضب المتهوِّر : وكذا فإن الزوج أو الزوجة اللذين اكتسبا خبرة التهور الذى لايبقى ولا يَذَر، فينخرط الواحد منهما لأتفه الأسباب فى هياج لا يتسنى له إلجامه، بل يحطم النوافذ، ويَقْلب الطعام، ويلقى بالأشياء الثمينة من الشباك، ويضرب شريك حياته أو أولاده ضربًا مبرحًا، قد يؤدى إلى الموت، فإن ما اكتسبه من خبرة رديئة، ولم يكتسب خبرة ضبط النفس، لا يتسنى له أن ينخرط فى حياة زوجية مستقرة وسعيدة.

ثالثًا - التبذير أو التقتير : ومن الخبرات السيئة التى يمكن أن يكون الزوج أو الزوجة قد اكتسباها، عَبر حياتهما السابقة على الزواج، ما يتعلق بشئون المال. فلقد يكون الزوج أو الزوجة مبذرًا، فينفق مرتبه كله خلال بضعة أيام فى أوائل الشهر، ثم يستدين. وعلى العكس فقد يكون مقترًا، فيتشاجر مع زوجته وأولاده، عندما ينفقون فى أى وجهة من وجهات الإنفاق، أى مبلغ، حتى ولو كان ضئيلاً، بينما يكدس المال فى مخبأ بالبيت، أو يودعه فى البنك، خوفًا من زوجته أو أحد أولاده، من أن يمد يده ويستلب شيئًا مما كدسه.

رابعًا - الهروب من البيت : ومن الخبرات السيئة أيضًا، التى يمكن أن يكون الزواج أو الزوجة قد اكتسباها منذ الطفولة، وما بعدها من مراحل عمرية، التجوال المستمر فى الشوارع، وإدمان الزيارات، أوالتسكع على المقاهى، أو قضاء معظم الوقت فى مكالمات تليفونية لا تنتهى، أو الجلوس أمام شاشة التليفزيون نهارًا وليلاً، وهو ما نعتبره سلوكًا هروبيًامن المنزل إلى خارجه عن طريق المكالمات التليفونية، أو عن طريق مشاهدة البرامج التلفزيونية، والانصراف تماما عن الواجبات المنزلية، والبعد عن أفراد الأسرة بطريق غير مباشر.

خامسًا - النقد الجارح : ومن الخبرات الرديئة، التى يكون الزوج أو الزوجة قد اكتسبها عَبْر حياته قبل الزواج، الاستمرار فى توجيه النقد الجارح إلى شريك الحياة، وإلى الأبناء والبنات. ومن الطبيعى أن شخصًا هذا شأنه، يكون السبب فى هروب أهل البيت من أمامه، وعدم الرغبة فى مجالسته، أو التحدث إليه، أو مؤانسته.



الفصل الرابع عشر

الخبرة والتخطيط للمستقبل

ما معنى التخطيط للمستقبل ؟

علينا أن نتساءل عن المقصود بالتخطيط للمستقبل، فنجد عدة إجابات، لعلنا نقوم بتقديم أهمها فيما يلى :

أولا - تحديد المجال الذى ترغب فى التخطيط له : فثمة مجالات كثيرة يهتم بها الأشخاص المتباينون. ولكن ليس من المعقول أن يهتم المرء بجميع المجالات، بل عليه أن يهتم بمجال واحد يكون أثيرًا لديه. وحتى إذا اهتم بمجال آخر غير المجال الأساسى الذى يحظى بجُل اهتمامه، فيكون اهتمامه به اهتمامًا ثانويًا.

ثانيًا - ترتيب الاحتمالات الممكنة : وبعد تجديد المجال الذى يرغب المرء فى التخطيط للمستقبل المتعلق به، يجب عليه تحديد الاحتمال الأكثر ترجيحًا للحدوث، وتتلوه الاحتمالات التالية.

ثالثاً - توفير الإمكانات المطلوبة : وبعد هذا، لابد من توفير الإمكانات، سواء كانت إمكانات إيجابية، تساعد على تحقيق الاحتمال المتوقع، أم كانت إمكانات سلبية، تساعد على تحاشى حدوث الاحتمالات غير المرغوبة، أو منعها من الحدوث.

رابعاً - تقييم الموقف بعد وقوع الاحتمال : فعلى المرء أن يقوم بتقييم التخطيط الذى نُفذ، فى ضوء ما كان عليه قبل تنفيذه، وبعد تنفيده.

خامساً - الدروس المستفادة والخبرة المكتسبة : ولاشك أن المرء بعد أن يمر بهذه الخطوات التى ذكرناها، يكون قد اكتسب خبرة، تسمح بأن يكون تخطيطه للمستقبل فى المرات التالية، أفضل وأدق، وأكثر نجوعاً.

أخطاء التخطيط للمستقبل :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، بإلقاء الضوء على الأخطاء، التى يمكن أن يتعرض لها المرء، عندما يقوم بالتخطيط للمستقبل. فنجد أن تلك الأخطاء، يمكن أن تتحدَّد على انحو التالى :

أولاً - العجز عن تحديد الاحتمالات : فالواقع أن تحديد الاحتمالات، بحاجة إلى التمكن من الربط جيداً فيما بين وقائع الماضى ووقائع الحاضر، ثم إقامة رابطة بين هذين النوعين من الوقائع، وبين احتمالات المستقبل. ولكن بعض الناس، يَعجزون عن إقامة تلك الروابط، أو تبيُّن العلاقة بين وقائع الماضى، ووقائع الحاضر، ووقائع المستقبل.

ثانيًا - عدم إحراز القدرة على الحَدْس Intuition : والحدس عبارة عن قدرة ذهنية، يتسنى للمرء بواسطتها، أن يقفز من الوقائع الحالية، إلى الوقائع المستقبلية، بغير أن يكون فى حاجة إلى أن يمر فى سلسلة الأسباب والمسببات خطوة فخطوة. فالشخص الذى يكتسب هذه القدرة الحدسية، يكون بالتالى قد حَظِىَ بخبرة عظيمة، فيما يتعلق بتوقع الأحداث، التى سوف يحملها المستقبل إليه، ومن ثمَّ فإنه يستطيع أن يضع المُخَطَّط الذى يتسنى له بواسطته، مجابهة تلك التوقُّعات المستقبلية بكفاءة واقتدار.

ثالثًا - عدم توافر الإمكانات اللازمة : فالكثير من الأشخاص، برغم قدرتهم على الحَدس، وتوقُّع المستقبل بكفاءة، فإنهم لا يستطيعون توفير الإمكانات اللازمة، لتنفيذ المخططات التى تسنى لهم وضعها، والتى تكون محكمة وذات

فاعلية، وبالتالى فإنهم لا يستطيعون تنفيذ ما يرون أنه مفيد فى مجابهة ما يتحمل وقوعه فى المستقبل، الذى وقفوا عليه، ووضعوا بالفعل الخطط الناجعة لمجابهته، ولكن بالأسف فإنهم يقفون مكتوفى الأيدى، لأنهم لا يستطيعون توفير ما يلزم من إمكانات لتنفيذها، وإخراجها من حيِّز الكمون إلى حيز الواقع.

رابعًا - التوقُف عن الاستمرار فى التنفيذ : ومن الأخطاء التى يتعرض لها بعض الناس، بإزاء التخطيط للمستقبل، قِصَر النفس، والملل، والتوقف فى منتصف الطريق، فلا يتمون ما اعتزموا عليه، وما وضعوه من خطط ناجعة. ولكن بالأسف، فإن تقاعسهم عن الاستمرار فى تنفيذ خطتهم حتى نهايتها، يعمل على إفساد ما خَطَّطوا له إفسادًا تمامًا.

خامسًا - التذبذب بين خطتين متباينتين : ومن الأخطاء التى بتعرض لها بعض الناس، تذبذبهم بين خطتين، فيتحمسون لتنفيذ إحداهما، ولكنهم ما يفتئون أن يُنَحُّوها جانبًا، وأن يبدءوا فى تنفيذ خطة أخرى مغايرة، لا يكون حظها أفضل من سابقتها. ولكن حتى هذه الخطة الثانية، لا يكون حظها أفضل من الخطة الأخرى. فيظل الواحد من هذه الفئة المتذبذبة متنقلاً ومترددًا بين الخطتين، بغير أن يَقَر له قرار، أو أن يُكْمل أى خطة من الخطتين المتباينتين.

مواصفات الخطة المستقبلية الجيدة :

وعلينا أن نقوم بعد هذا، بتحديد مواصفات الخطة المستقبلية الجيدة ، فنجد أن تلك المواصفات، يمكن أن تتحدد على النحو التالى :

أولاً - مناسبة الخطة للاحتمالات المتوقعة : فمن الواجب، أن تكون الخطة التى يضعها المرء، قابلة للتنفيذ، وأن تكون منسجمة مع الاحتمالات المتوقعة. ولكى تكون الخطة مناسبة، فإن من الواجب أن يكون المخطِّط ذا بصيرة نافذة، وأن يكون متمرِّسًا بالتوقُّع الصائب، وذا حدس مكين.

ثانياً - عدم الفضفضة أو القصور : فلكى تكون الخطة المستقبلية مَكِينة، فإنها يجب أن تكون على مقاس الاحتمالات المتوقعة، فلا تكون أكبر أو أقل من المطلوب فى وضع التخطيط. وبتعبير آخر فإن الخطة الجيدة ، يجب أن تكون على مقاس الجهد والوقت المطلوبين للتنفيذ، فيتم الخروج بأفضل النتائج عندما يتم تنفيذها.

ثالثًا - تجهيز الإمكانات اللازمة لتنفيذ الخطة : والإمكانات اللازمة يمكن أن تكون إمكانات مالية، كما يمكن أن تكون إمكانات معنوية، كتخصيص المدة الكافية، وتوفير

الظروف المناسبة. لتنفيذ الخطة، ويمكن أن تكون الإمكانات بشرية، فقد تحتاج الخطة إلى تعاون شخصين أو أكثر فى التنفيذ، وقد تكون الإمكانات فنية أدائية، كاستخدام بعض الأدوات أو المعدات أو الآلات، أو اكتساب بعض المهارات، إلى غير ذلك من إمكانات.

رابعاً - اتخاذ الاحتياطات الضرورية : فلكى تكون الخطة جيدة، يجب على واضع الخطة، أن يكون قد أعَدَّ العُدَّة لتوفير الاحتياطات اللازمة التى يمكن أن تقيها من الفشل أو التخبط، إذا ما حدث قصور أو تخلُّف من أحد المشتركين فى تنفيذها. ناهيك عن توفير البدائل المادية، إذا حدث تلف لأداة أو آلة، أو إذا تغيرت الظروف فى أثناء التنفيذ.

خامساً - ربط الخطة بالخطط الأخرى : فلقد يكون من الضرورى، أن يقوم واضع الخطة، بإقامة علاقات مكينة بين الخطة التى يضعها وبين الخطط السابقة والخطط اللاحقة، وذلك يضمن للخطة التى يضعها، تقديم أفضل عائد بعد تنفيذها.

أهمية إحراز الخبرة للتخطيط المستقبلى الجيِّد :

وعلينا فى نهاية المطاف أن نعرض لأهمية إحراز المرء للخبرة، حتى يتسنى له أن يضع الخطط الناجعة، بإزاء ما

يتوقع حدوثه. من ظروف وأحوال وطوارئ فى المستقبل.
وتتلخص هذه الأهمية فيما يلى :

أولاً - الأهمية الاستشرافية : فلكى يتسنى للمخطط، أن يضع خطة مستقبلية ناجحة، فلا بد أن يكون قد اكتسب خبرة توقعية استشرافية. ولا شك أن هذه الخبرة لا تتأتى لأى شخص كائنا من كان، بل لابد أن يكون لدى المرء استعدادات عقلية لذلك من جهة، وأن يكون قد مر على سلسلة طويلة من المواقف التى تدرب خلالها على استشراف المستقبل من جهة أخرى، وبذا يتسنى له مجابهته بالمخططات التلقائية العفوية، التى صار متمكنا من وضعها بيسر وسهولة. والواقع أن قلة من الناس هم الذين ينظرون إلى المستقبل، ويتوقعون بنجاح ما سوف يحمله لهم من إمكانات وفرص نجاح من جهة، وما سوف يحمله لهم من أحداث ومواقف غير مواتية، ومعاكسة من جهة أخرى.

ثانياً - الأهمية التقييمية : ولكى يكون التخطيط الذى يضعه المرء ناجعًا، فلا بد أن يكون قد اكتسب خبرة تقييمية، تُمَكنه من التمييز بين المفيد والضار، وبين الأهم فالمهم فغير المهم، وبين ما يجب الأخذ به، وما يجب النأى عنه، وما يجب أن تضاف إليه عناصر معينة، وما يجب أن تحذف منه

بعض العناصر. إلى غير ذلك من تقييمات، يكون المرء قد اكتسبها، حتى يتسنى له وضع مخططات مكينة، وذات فاعلية، فى مجابهة المواقف والحالات.

ثالثًا - الأهمية الإرادية : فحتى يتسنى للمرء أن يضع الخطط الفاعلة والمكينة، فلا بد أن يكون قد اكتسب إرادة قوية ونافذة، بإزاء المجال الذى سوف تنفذ فيه الخطة التى يضعها. ولكن من الأهمية بمكان أن نقرر أن الإرادة إرادات، وليست إرادة واحدة. فقد تكون لديك إرادة قوية فى ممارسة رياضة معينة، ولكن إرادتك بإزاء القيام بمشروع تجارى تكون إرادة ضعيفة. وبالنسبة للتخطيط المستقبلى لمجال ما من المجالات، فلا بد أن تكون لديك إرادة قوية بإزائه.

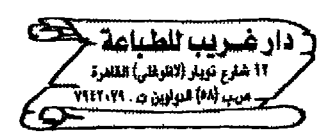
رابعًا - الأهمية التعاونية والتنافسية : ولكى يتسنى للمرء أن يضع خطة مستقبلية ناجعة، فلا بد أن يكون قد اكتسب خبرة متينة، بإزاء التعاون والتنافس. فالأغلب والأعم أن تكون الخطة المستقبلية، بحاجة إلى تعاون المرء، مع فرد أو أكثر من جهة، وإلى التنافس مع فرد أو أكثر من جهة أخرى. فلدى وضع الخطة المستقبيلة، لا بد أن يكون قد اكتسب القدرة على إقامة العلاقات الإيجابية مع غيره، لتحقيق التعاون

معهم. وعلى إقامة العلاقات السلبية مع بعض الأشخاص أو المجموعات، لتحقيق التنافس فيما بينه وبينهم.

خامساً - الأهمية التكيفية : ولكى تكون الخطة المستقبلية التى يضعها المرء ناجعة وعملية، فلا بد أن يكون قد حصل على خبرة تسمح له بالتكيف مع الواقع، وما يَعُج به من تغيرات وتطورات ومفاجآت. فمن يرغب فى أن تكون خطته المستقبلية قابلة للتنفيذ بنجاح، فلا بد أن يحاول باستمرار أن يعدِّل فى خطته التى وضعها، فيضيف إليها، ويحذف منها، حسب الحاجة، فى ضوء التغيرات التى تحدث، والطوارئ التى تقع.



الفهرس


دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلي) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين ت . ٧٩٤٢٠٧٩



هذا الكتاب

دراسة رائدة لموضوع يشغل بال معظم الناس، فمن من لم يتردد على مسمعه لفظ الخبرة! إن السؤال الذى يوجه إلى أى شخص يطلب عملاً فى مجال ما من مجالات العمل هو: «هل لديك شهادة خبرة ؟».

ولكن على الرغم من استخدام هذا اللفظ بكثرة، وفى مناسبات عديدة، فإنه مَحُوط باللبس والتداخل والغموض فى كثير من الأذهان. من هنا كان لابد من إلقاء الضوء عليه، حتى يتسنى وضع النقط على الحروف بازائه، وحتى يكون واضحًا فى الأذهان لدى سماعه، أو لدى استخدامه.

هانى أحمد غريب